15 ème Année No. 750

Lundi — 17 — 11 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٧٥٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٦٧ — ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

ذكرى عيد الجهاد الوطنى

لصاحب العزة محمد كامل سليم بك

السكرتير العام لمجلس الوزراء

عيد الجهاد للشعب ، كعيد الميلاد للفرد ، كلاهما حادث ضخم عظيم فى تاريخ الحياة ، وكلاهما جدير بالتحية والتكريم والاحتفال .

فعيد الجهاد للشعب ، إحياء لمولد نهضة ، يبتدىء بها عصر جديد ، وعيد الميلاد ، إحياء لمولد فرد ، يبتدىء به أمل جديد .

وفى العيدين معاً تظهر الحركة والنشاط على السكون والخمود ، ويبدأ النمو ويطرد التقدم بعد التوقف والجمود .

وهذا ما كان من أمر يوم ١٣ نوفمبر الذى حفظه التاريخ فى سجلات الخلود. تسجيلا لمولد النهضة الوطنية المصرية الكبرى، التى أخذت منذ ذلك اليوم المشهود ، فى النمو والتقدم والتطور على مر الأيام والسنين ، واستيقظ فيها الوعى القومى يقظة ليس بعدها نوم ولا هجوع ولا خمود .

فى هذا اليوم التاريخى المجيد ، قامت فى مصر حركة شاملة . تطورت إلى ثورة كاملة ، كانت مظاهرها الأولى ، اتحاداً بديعاً بين جميع رجالات مصر البارزين وغير البارزين وظهور أهل مصر شعباً جديداً متجدداً ، نفض الغبار ، وهب وثار ، واشتعل كالنار ، صارخاً فى صــوت واحد بالمطالبة بحقوقه المسلوبة فى الحرية الكاملة والاستقلال التام كتمهيد لابد منه للحياة الرقيمة الشريفة التى ينشدها المصريون والتى لا خير فى الوجود بدونها .

أنجبت مصر فى هذا اليوم زعيما قديراً فذاً ممتازاً فى شخص سعد زغلول ، ورجالا ذوى بأس شديد فى طليعتهم عبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ، كان كل منهم جذوة متأججة ، مثلت روح الجيل ، أصدق تمثيل .

ولا يسعنى فى هذا المقام الرهيب ، إلا أن أقدم فى خشوع ، أخلص التحية وأصدق الأجلال ، إلى الشيخ النبيل ، المصرى العظيم ، المجاهد الكريم عبد العزيز فهمى باشا (حفظه الله ورعاه) ، فهو بيننا اليوم يشهد أثراً من آثار أياديه حين نحتفل بعيد الجهاد، وإنى لأشهد أن هذا الوطنى الصامت ، والعالم المدقق . قد خدم النهضة الوطنية فى فجر نشأتها أجل الخدمات ، وبذل فى سبيلها أوفى نصيب من عقله وعلمه وفضله ، وعاش بنجوة عن لغو القول ، زهداً فى مظاهر الحياة الباطلة وزخارفها الزائلة ، وقد أدى رسالته على أكمل وجه .

بعد هذه التحية الخالصة الواجبة على كل مصرى يزجى بها إلى هذا المصرى الأبى العظيم أعود إلى السؤال :

ماذا عمل هؤلاء الزعماء الثلاثة ، وفى أى جو عملوا ؟

وماذا عمل المصريون ، وفى أى جو كانوا يعيشون ؟

ذهب أشبال مصر الثلاثة يحملون رؤوسهم على أكفهم إلى مقر ممثل أكبر دولة فى العالم حينذاك ، فى صبيحة اليوم التالى لأكبر انتصار أحرزته فى تاريخها الطويل ، كانت الجيوش البريطانية فى سكرة الانتصار ، وفرحة السلامة تملأ القاهرة والأسكندرية ، وكل مكان فى أرض مصر ، فى الشوارع والميادين ودور السينما والملاهى والأندية والحدائق والطرقات ، وكانت الأحكام العرفية البريطانية رافعة سيوفها على أعناق المصريين بغير حساب ولا رقيب ، والسجون والمعاقل متعددة مفتوحة الأبواب ، للمغضوب عليهم والمشكوك فيهم من غير سؤال ولا جواب .

وكانت الحماية البريطانية مبسوطة على البلاد رغم أنفها ، وبغير اكتراث لشـعور أبنائها ، وليس أمام المصريين إلا الخنوع والاستكانة أو الموت والتعذيب فى هذا الجو الخانق ، الصاعق ، الساحق ، ذهب أشبال مصر الثلاثة فى شجاعة الحق وعزم البطولة ، وفى صراحة المؤمن وحزم الرجولة ، وطالبوا بجلاء الجيوش البريطانية من أرض الوطن ، حتى تتمتع مصر باستقلالها التام .

حركة طائشة خيالية جنونية ، فى نظر الأقوياء المستعمرين المنتصرين الزهوين ، وحركة وطنية جريئة طبيعية فى نظر المصريين ، وجميع المنصفين .

فأى النظرتين كانت أصح وأصدق؟ولأى فريق كتب التوفيق ؟

لست الآن بصدد تفصيل ما وقع . حسبى أن أذكر أن الإنجليز نكلوا بالحركة الوطنية ونكلت الحركة الوطنية بالإنجليز . فكان صدام وصراع . وكان سجن واعتقال ونفى وتشريد وتقتيل وتعذيب وآلام . وكان ثبات واحتمال وصبر ومثابرة ومقاومة واقدام . وتضحيات جسام . وإذا بهدنة تتخللها محادثات ومفاوضات وإذا بالحماية البريطانية تعترف بأنها ملاقة غير مرضية . ثم إذا هى ملغاة بعد قليل وإذا بالاستقلال يعترف به مثقلا بالقيود والأصفاد فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . ثم استقلال مخفف القيود فى عام ١٩٣٦ .

أدركت مصر كل ذلك بفضل تلك الحركة الطائشة الخيالية الجنونية فى نظر المستعمرين ، أو الحركة الوطنية الطبيعية فى نظر المصريين ونظر القدر .

كيف كانت حال مصر حين قامت وتحركت . وحين نهضت وغضبت . وحين ثارت وثارت . وحين تغلبت على العقبات وانتصرت . فى ظروف كاد النصر فيها يبدو محالا أو حلماً من الأحلام .

هل كان لدى مصر طائرات ودبابات ، وجيوش جرارة . ومدافع ولوريات ؟

هل كانت لديها كنوز البحار . أو ذخائر من الحديد والنار وكل أدوات الدمار ؟

كلا . لم يكن لدى مصر شيء من ذلك على الإطلاق . وإنما كانت عندها ذخيرة لا تنفد من الوطنية وحماستها . والكرامة وعزتها . والشجاعة وغيرتها . والإيمان العميق بعدالة القضية وحق الوطن . يدعم ذلك كله اتحاد رائع وإجماع كامل فى المشاعر والعزمات والايثار .

كان شعب مصر فى ظلال الحماية والاحتلال يعيش أحاداً وأفراداً وشيعاً ممزقة . فلما بزغت شمس ١٣ نوفمبر فاجأت مصر العالم عامة ، وبريطانيا خاصة بشعب متحد ، لا ثغرة فيه ، نبض بشعور واحد ، لا نشوز فيه ، واتجه فى اتجاه واحد ، لاعوج فيه بهذه الكتلة المتحدة صمدت مصر للاحداث الجسام . وغالبتها ، فغلبتها . وكان الفضل فى هذا التوفيق راجعاً إلى توحيد الصفوف ، وتوحيد الرأى والشعور فكانت مصر من أقصاها إلى أقصاها تتحرك بكلمة واحدة يلقيها زعيمها الأوحد وأعوانه التضامنون المتحدون .

كان الأغنياء يبذلون المال سخياً ، متبارين متنافسين لتمويل خزانة الجهاد وشد أزر المجاهدين .

وكانت التضحية وكان الايثار وانعدام الأثرة ، شعار الجميع : كباراً وصغاراً ، رجالا ونساء .

وكان الجيش والبوليس والعمال والفلاحون والطلبة والأعيان والموظفون والمحامون والمهندسون وكل أصحاب المهن الحرة جماعات تفيض صدورها بشعور واحد فى بذل كل مجهود يطلب لانقاذ

الوطن . ولم يكن هناك خلاف بين هذه الجماعات إلا في الأزياء والأرزاق والأعمار .

وكانت الصحافة والمجلات ، والنشرات الظاهرة والنشرات الخفية تصدر كلها عن وحى واحد ، وليس فيها إلا نداء واحد ، وتوجيه واحد ودعوة واحدة . ولم يكن في كل ما ينشر ويقرأ إلا ما يزيد لهيب الشعور الوطني . وإلا ما فيه غذاء لأرواح المصريين .

بهذا شحذت الهمم في مضاء ، وبذلت الجهود ، في سخاء واطرد العمل في اتحاد وانسجام ، وازدادت حماسة الناس بذكريات الماضي واستوحوا قوتهم من رجاء المستقبل .

ذلك كان جو يوم ١٣ نوفبر والأيام والشهور والسنوات التي تلته وتلك هي المعجزة التي أتتها مصر فكانت عبرة العبر : اتحاد في الزعامة والرياسة والقيادة ، وتوحيد في الشاعر والصفوف .

لقد جربت مصر الاتحاد . وشهدت خيراته وآثاره . وجنت أطيب ثماره .

وجربت تفرق الكلمة وشهدت ويلاته ومضاره وأخطاره

نالت مصر بفضل الاتحاد الكامل الشامل كل ما أحرزته من فوز . وكل ما نالته من خير حتى اليوم . ولم تنل من الفرقة والحزبية الجامحة الكالحة غير بعثرة الجهود والخيبة والفشل . والآلام والأحزان .

لقد وقعت معجزة ذلك الاتحاد الرائع في ١٣ نوفبر سنة ٩١٨ على غير انتظار من الأصدقاء والأعداء على السواء .

أفلا تتكرر المعجزة في ١٣ نوفبر سنة ١٩٤٧ . والأصدقاء يرجونها وينتظرونها ويتحرقون عليها ويعملون لها . والأعداء يخشونها ويحاربونها ويفزعون ويتطيرون منها ويعملون ضدها .

أمعجزة أن يتم اتحاد ؟ والاتحاد واقع فعلا على الأهداف القومية ، ووسائل تحقيقها ، وآية ذلك أن الأحزاب والهيئات جميعاً على اتفاق تام على هذه وتلك إذا أبعدنا التشويه وسوء التأويل .

أليس المانع الوحيد بعد ذلك من عدم اتحاد الرجال هو طغيان الأهواء والأحقاد كثمرة من ثمرات الأنفة التي تفرقت . والوحدة التي تشتت . والعلاقات التي تمزقت وعكس الأوضاع بتقديم المصلحة الفردية على المصلحة الحزبية . ورفع المصلحة الحزبية فوق رأس المصلحة القومية .

أوضاع معكوسة . وخطط منكوسة منكوسة ليست فيها ذرة من الخير على الإطلاق ولو استجابوا إلى صوت الضمير والمصلحة العليا للبلاد وحدهما دون سواهما لانقشعت السحب . وزالت الجفوة . ولعادت الحال كما كانت في ذلك اليوم المشهود — عيد الجهاد الوطني — أصدق وأصح . وأروع وأكمل مما كانت .

وحينذاك تتحقق الحكمة من الاحتفال به والتغني بمزاياه ، عاماً بعد عام .

فينا كل بواعث النشاط . وأمامنا كل حوافز الأمل . ووراءنا كل نماذج العمل . فلنعمل على توحيد الصفوف أولا وقبل كل شيء . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

محمد كامل سليم

السكرتير العام لمجلس الوزراء

١٣ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
عميد كلية الآداب

مشاهد أخرى فى دهلى

ضريح صفدر جنك :

ومن الآثار التى رأيتها فى دهلى ضريح لوزير من وزراء الدولة التيمورية ، وهو آخر ما شاد رجال الدولة من أضرحة كبيرة .

كان صفدر جنك وزيراً للسلطان أحمد شاه (١١٦١ — ١١٦٧ ﻫ) . وذلك قبل زوال الدولة التيمورية بمائة عام . وقد عجزت الدولة من بعدُ عن رفع الآثار الفخمة ، وتشييد مثل ما شيِّدت من قبل إبّان شبابها وقوّتها .

والمزار ، فى جملته ، صورة من مقابر الملوك التيموريين . وكلها تتفق فى القواعد وتختلف فى التفصيل ، فهو كقبر همايون بناء عال عليه قبة ، حولها أبراج ، يقوم على دكة عالية وسطحيتة واسعة . ولكنه أيسر هندسة وأبسط خطة . فليس حول القبة حجرات كثيرة متواصلة كما فى مزار همايون بل يرى الواقف تحت القبة أربعة عقود فى الجهات الأربع يخترقها البصر إلى الحديقة المحيطة بالبناء على ما بالعقود من شبابيك الرخام .

ويمتاز هذا المزار بأربعة أبراج ضخام على زواياه الأربع ، تذكّر بالمآذن الأربع فى أركان مزار جهانكير فى لاهور والمآذن الأربع القائمة حول تاج محل منفصلة عن البناء .

ويقال إن فى المزار بادئة وهندسته ما يؤذن بشيخوخة الدولة والفنون إذا قيس إلى نضارة الدولة وشبابها ممثَّلة فى أبنية همايون وشاهجهان وأكبر .

وسنصف بعض آثارهم فى المقالات الآتية إن شاء الله .

ولكن هذا المزار لوزير لا لسلطان فينبغى أن يحسب هذا فى تقويم البناء .

ومن المشاهد التى رأيتها سقيفة جميلة من الرخام لا تدور عليها جدران ولكن تحملها عُمُد كثيرة أجيد نحتها وتشكيلها .

وفوق السقيفة قباب كثيرة من الرخام .

ووسط السقيفة قبر عليه صفائح الرخام ، البيضاء البراقة كقبور التيموريين الأخرى . وفيها كلها روعة وجمال .

والقبر لأمير اسمه ميرزا عزيز كوكل تاش (الأخ من الرضاع) وهو أخو السلطان جلال الدين أكبر من الرضاع ، وابن أتكاخان أحد وزراء أكبر .

وتسمى هذه السقيفة الرواق ذا الأربعة والستين عموداً (چونسته كهمبا) .



يرى بعض الزائرين وبينهم كاتب المقالات

ولما خرجت من هذه السقيفة أبصرت أمامها على الطريق قبوراً فأشار دليلنا إلى واحد منها أخذت الحوادثُ من أحجاره وترا كم حوله غبار العصور فتأملت كتابة عليه فإذا هى :

رشك عرفى وفخر طالب مرد   أسد الله خان غالب مرد

١٢٨٥

قلت : قبر الشاعر غالب ؟ قيل نعم . ومعنى البيت :

مات غيرة « عرفى » وفخر طالب . مات أسد الله خان غالب أى مات الذى يحسده عرفى ويفتخر به طالب الخ .

فأما عرفى فهو الشاعر الفارسى عرفى الشيرازى من كبار شعراء الفارسية . رحل إلى الهند واتصل بجلال الدين أكبر وعاش هناك حتى أدركته الوفاة فى لاهور سنة ٩٩٩ وهو فى السادسة والثلاثين من عمره .

وكنت في لاهور في شهر نيسان الماضي (أبريل) وكان بها الصديق العالم الأديب على أصغر حكمت وزير المعارف في إيران قبلا . فقال يوماً في أحاديثه إن عرفي شيرازي وأنا شيرازي وقد مات هنا . وضحك . قلت يطيل الله عمرك ، ويقيك كل سوء .

وأما طالب فهو شاعر فارسي آخر من شعراء الفرس الذين رحلوا إلى الهند واتصل بجلال الدين أكبر وابنه جهانكير من بعده لحظي عندهما ، وذاع صيته ولقب « ملك الشعراء » وتوفي سنة ١٠٣٥ في كشمير بعد أن جاوز المائة من عمره .

فهذا البيت الذي نقش على قبر غالب يشير إلى هذين الشاعرين اللذين ذاع صيتهما في الهند في القرن العاشر الهجري .

وأسد الله غالب هذا له شأن في الأدب الأردي ، إلى مكانته في الأدب الفارسي . ولا بد من وقفة على قبر هذا الشاعر الذي زرته على غير قصد . وكان علىّ أن أسأل عنه ، وأسعى إليه ، أقضي حقه بوقفة :

وقفة في العقيق نطرح ثقلا من دموع بوقفة في العقيق :

هو نجم الدولة ، دبير الملك ميرز أسد الله خان .

وغالب لقبه الشعري المعروف في الأدب الفارسي بالتخلص .

وأصله من تركستان كأمير خسرو الذي ذكرناه من قبل قدم جدّه إلى الهند في عهد شاه عالم (١١٧٣ — ١٢٠٢) ورحل أبوه عبد الله من دهلي إلى لكهنو ثم حيدر آباد .

وتقلبت به أمور حتى قتل في إحدى الحروب . وأسد طفل في الخامسة من عمره . وقد كفل اليتيم عمه نصر الله بك خان . ولما بلغ التاسعة توفي عمه ، فرتب له ملك دهلي إذ ذاك رزقاً شهرياً . ثم ترعرع وتقلبت به الغِيَر ، وذاع صيته في الشعر ونال جوائز الأمراء وأرزاقهم حتى رجع إلى دهلي وأجريت عليه وظيفة . واستقر هناك حتى أدركه الموت سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) بعد زوال الدولة الإسلامية من الهند .

وكان غالب رضيّ الخلق ، حسن الفكاهة محسناً إلى أصحابه وتلاميذه ، ولكنه كان قلقاً لا يصبر على الأحداث .

والغالب مذهب في الشعر أنيق دقيق يحتفل فيه بالمعنى واللفظ

وله في الفارسية ديوان وثمانية مؤلفات بين نظم ونثر وله ديوان باللغة الأردية كذلك وبضعة مؤلفات منظومة ومنثورة .

وقد عني الناس بديوانه الأردي كثيراً إذ كان الشاعر على قرب زمانه من أوائل المجيدين في هذا اللسان . وقد شرح ديوانه هذا ثماني مرات . وهو بعيد الغور فيه كثير من دقائق الصوفية .

وطبع الديوان في ألمانيا طبعة مصوّرة جميلة بيعت النسخة منها بخمسة وثلاثين جنيها . ثم أعيدت هذه الطبعة في حيدر آباد فبيعت النسخة بخمسة جنيهات . وأعيدت مرة أخرى فرخص ثمنها قليلا . وللديوان طبعات أخرى رخيصة .

وقد نشرتُ منذ سنين ترجمة غالب وترجمت أبياتاً متفرقة من شعره ، منها :

أرى شبك الأمواج في كل لجة

بأفواه وحش البحر حيك وقُدّرا

فأنا تلاقي قطرة الماء من ردى

إلى أن ترى في لجة الماء جوهرا

وهو يشير إلى أن الكمال لا يتاح إلا بعد نصب ومقاساة أهوال

ومن شعره :

وكنا يبرق الطور أولى لو انه على قدر الأقداح أعطيت الخمر

ويقول في مضي العمر سريعاً :

أسوم جواد العمر ريثاً وما له ركاب برجلي أو عنان بأعلى

ونرى في طبعة برلين مع هذا البيت صورة فرس ينهب الأرض عدْواً عليه فارس مشدوه ليس في يده عنان ولا في رجله ركاب .

ويقول في البلاغة :

وينفذ في الألباب سحر بيانه فأحسب ما قد قاله كان في لبّي

هذه وقفة قصيرة على قبر أسد الله غالب الشاعر الكبير .

وليت الزمن أمهلنا أياماً في دهلي لنعود إلى قبره ، أو ساعات في زيارتنا إياه لنستمد المعاني من هذا الرخام الحاني على رفات الشاعر الخالد كما تنطبق الصدفة على لؤلؤتها ؛ ولكن رحم الله الشاعر القائل :

أسوم جواد العمر ريثاً وما له ركاب برجلي أو عنان بأعلى

(للحديث صلة) **عبد الوهاب عزام**

وقع في المقال السابق أغلاط هي :

مبطن بالصوف	صوابه	بالصدف
تَقلَق	«	تَقلق
بالستقر	«	بالمستقر

لا يكس أحد قبراً بغير النبات المعشب — وكلمة النبات زائدة

لسان السياسة البريطانية

للأستاذ محمود محمد شاكر

دعت السفارة المصرية في لندن إلى مأدبة عشاء تكريماً لأعضاء الغرفة التجارية المصرية الإنجليزية ، في يوم الخميس ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وكان من المدعوين السير ستافورد كريبس وزير التجارة البريطانية ، فقام السير ستافورد وألقى على الحاضرين خطبة من أخطر الخطب التي تناولت شئون مصر السياسية والتجارية ، وقد نشرت الصحف البريطانية هذه الخطبة في الصدر ، وترجمها أكثر الصحف العربية ، ومع ذلك فلم أجد أحداً علق عليها بما ينبغي أن يقال في تفسيرها وتأويل مراميها .

كان من أول مرامي السير ستافورد أن يبين بأجلى بيان أن « التعاون الثقافي » و « التعاون التجاري » بين مصر وبريطانيا كفيلان بأن ينتهيا على مر الأيام إلى حل النزاع السياسي الناشب بين الدولتين ، وهو يرجو أن ينسأ الله في أجله حتى يرى هذا الحل الوفق بين المتنازعين . وقال إن هذا النزاع بين مصر وبريطانيا ليس سوى « خلاف » يسير في تاريخ طويل حافل بعلاقات المودة ، وبالذكريات الجميلة بين البلدين فيما يعتقد . وزعم أنه على يقين من أن الصلات التجارية والروابط الثقافية إذا هي سارت على نهج موافق ينفي عنها كل ما يزعج أو يثير الخواطر ، فإنه سوف يعيش بإذن الله حتى يرى حلا موفقاً مرضياً يفض ذلك الخلاف السياسي اليسير ، ويومئذ تخرج الدولتان منه وقد أصبحت الصلات التي بينهما أقوى ، وأصبحت المودة أصدق ، وأصبحت النفوس أسلم . وزعم أيضاً أن هذا الضرب من الصلات والروابط سيظل هو الغالب بين الأمتين على كل خلاف سياسي . ثم امتلأت جوانب هذه الخطبة بإشارات خفية إلى أسلوب بريطانيا في الاستبداد التجاري الذي اعتصرت به الحياة من أمم كثيرة غير مصر والسودان ، وإلى التهديد اللئيم بأن بريطانيا مضطرة إلى تحطيم هذا التعاون إذا أصرت مصر على إنفاذ قانون الشركات الذي أصدرته منذ عهد قريب ، ثم لم ينس السير ستافورد كريبس الوزير البريطاني عادة قومه في اللي الخبيث البغيض المتلفع بالعواطف الإنسانية النبيلة ، فزعم أن عطف بريطانيا على مصر في محنة الكوليرا كان مبعثه العطف الإنساني البالغ والرثاء العميق ، لا النافع السياسي أو الحافز التجاري . وفي الخطبة كثير من أمثال هذه التلفيقات العجيبة .

زعم السير ستافورد أن الروابط الثقافية والتجارية كفيلة بحل ما سماه « خلافاً » سياسياً ، وهو يرمي بهذا إلى تحقير هذا « الخلاف السياسي » الطارئ ، لأن تاريخ العلاقات البريطانية المصرية فيما يدعي حافل بعلاقات المودة وبالذكريات الجميلة ! ! فهل سمعت أذن بأغرب من هذه الدعوى ؟ إن أجل الذكريات بيننا وبين بريطانيا هو احتلالها أرض مصر والسودان أكثر من خمس وستين سنة ، وسعيها الخبيث في فصم عرى مصر والسودان فصما لا مجاملة فيه ولا هوادة . إن هذا الخطيب السياسي يعلم أنه يلقي خطبته في دار السفارة المصرية التي دعت لتكريم أعضاء الغرفة التجارية المصرية الإنجليزية ، ولكنه يتجاهل هذا ويستهين بالمنزلة السياسية التي ينبغي أن تكفل لدار السفارة المصرية ، فيقف ليحط من قدر النزاع السياسي بين مصر والسودان وبريطانيا ، ويسميه « خلافاً يسيراً » ، كأن حرية شعب واستقلال أمة ليس شيئاً يقام له وزن بإزاء ما يسميه العلاقات التجارية والروابط الثقافية ! ونحن نعجب لم سكت رجال السفارة من رد هذا التحقير للهدف الأعظم الذي أراقت مصر والسودان في سبيله ، ما أراقت من دماء ، وجادت في سبيله بالأموال والأرواح والأبناء ، وصبرت في الجهاد من أجله على مر الحياة وبأسائها صبراً طويلا كله آلام وتباريح ؟

إن كل حرف في خطبة السير ستافورد كان كأنه يقهقه ساخراً من هذا الشعب الذي يريد أن يعيش حراً في بلاده ، فكيف فات من سمع هذه الخطبة من المصريين أن يقف ليعلم السير ستافورد أن النزاع السياسي بيننا وبين بريطانيا هو الحياة وهو الحرية ، وهو الهدف الذي لن تلفتنا عنه مودة نشأت من رابطة ثقافية أو علاقة تجارية ؟

ثم ماذا يعني السير ستافورد بقوله إن العلاقات التجارية والروابط الثقافية كفيلة بحل هذا النزاع السياسي ؟ إنها كلمة يلقيها وهو يقدر كل ما وراءها من سياسة بريطانيا في إذلال شعوب الأرض التي وقعت تحت سلطانها الجائر . فعلاقات

بريطانيا التجارية بالبلاد الضعيفة هي أن تجعل رؤوس الأموال المستثمرة في البلاد في يد فئة من الخونة أو فئة من الأجانب ، وبذلك تضمن لتجارتها ميداناً هي صاحبة الكلمة الأولى فيه وتضمن أن يكون لهذه الفئة من الخونة أو الأجانب السيادة التامة على الشعب المستذل البائس الفقير الجاهل ، وتضمن أن لا تقوم لهذا الشعب قائمة ما دامت هذه الفئة هي صاحبة القوة المدمرة في الحياة ، وهي قوة المال ، وتضمن أيضاً ناساً من هؤلاء الخونة وهولاء الأجانب يقولون للبلد الفقير الجاهل البائس الذي سُلب قوة المال : لم لا تعمل أنت مثل الذي نعمل ؟ وهم يعلمون أنه غير مطيق أن يعمل ، لأن قيادة أخطبوط القوة المالية في أيديهم هم لا في يد الشعب المسكين . وليس في الدنيا شيء هو أوضح من هذه السياسة اللئيمة ، فإن مصر والسودان كادت في بحر سنوات معدودة أن تكون أقوى دولة على شاطيء البحرين الأبيض والأحمر ، وأعظم دولة في إفريقية ، وذلك في عهد محمد علي ، وأدخلت من ضروب الإصلاح والتدبير في مجتمعها وفي سياستها وفي صناعتها وزراعتها ، ما لاغناء في ترديده الآن ، فأبت بريطانيا أن ترى دولة قوية تنازعها سيادة الشرق الأوسط كله ، فألبت عليها الدول حتى حطمت أسطولها في نفارين ، ثم تخونتها من أطرافها حتى انكمشت في أضيق رقعة ، ثم انتهت إلى احتلال مصر والسودان مرة واحدة في سنة ١٨٨٢ . ومنذ ذلك اليوم وبريطانيا تدعى أنها جاءت لإصلاح أمرنا ، فإذا هذا الإصلاح قاصر على أن تطلق يد الخونة والأجانب في مال مصر وثروتها ، وأن تحرم الشعب المصري من كل خير ، وتضطهده وتقاتله بأخبث الأسلحة ، ثم تتركه جائعاً عارياً جاهلا لا يطيق أن يدفع عن نفسه . فأي خير جنيناه من هذه العلاقات التجارية بيننا وبين بريطانيا إلا الفقر القاتل والإذلال المهين ؟

وما الذي فعلته بريطانيا منذ سنة ١٨٨٢ لهذا اليوم ؟ إنها لم تأل جهداً في فتح باب الهجرة للأفاقين واللصوص والمجرمين من كل جنس وملة ، وأطلقتهم على هذا البلد الأمين يعيثون في أرجائه فساداً ، وحمتهم بامتيازاتها وامتيازات الدول ، ويسرت لهم أن يعيشوا عيشة البذخ والرفاهية إلى يوم الناس هذا . وقد ذكر السير ستافورد أن مصر كانت في زمن هذه الحرب الأخيرة « تستمتع برخاء غير طبيعي في عدة وجوه ، على حين كانت بريطانيا على النقيض تماماً ، فقد كانت مجبرة على الإنفاق عن سعة في الخارج خلال فترة الحرب ، لحماية نفسها وحماية الديمقراطية في العالم » ، وهو يعلم أحسن العلم أن هذا الرخاء لم تعرفه مصر ولا المصريون ، ولا السودان ولا السودانيون ، بل عرفته الجاليات من الأجانب الذين عاشوا في مصر أو الذين وفدوا على مصر . وهو يعلم أحسن العلم أن الذين تسميهم بعض الصحف تندراً بأغنياء الحرب ، وترمز إليهم برجل مصري يلبس لباساً محدثاً عليه ، ليسوا سوى فئة قليلة إذا قيست بالآلاف المؤلفة من الأجانب الذين عقدوا الأموال وجمعوها وصاروا شيئاً بعد أن لم يكونوا إلا حضيضاً موطوءاً ، وأنا أعرف مئات من هؤلاء الأجانب كانوا يعيشون قبل الحرب عيشة الكفاف بل عيشة الصعاليك ، فإذا كلهم قد أصبحوا من الثروة والعزة بحيث إذا رأيت أحدهم ظننت أنه قوة إلهية تمشي على الأرض المصرية لتستذل هذا الشعب المصري ، وكأنها لم توجد ولم تخلق إلا لهذا وحده . وبقي الشعب المصري أسوأ حالا مما كان فيما قبل سنة ١٨٨٢ ، فما الذي فعلته بريطانيا ؟ وما دعواها في إصلاح هذه البلاد ؟ .

وهذا كله بين لكل مصري ، وهو أشد بياناً ووضوحاً في عيني السير ستافورد كريبس ، ومغالطته في الحقائق التي يعلمها لا هدف لها إلا أن تدل على أنه سياسي بريطاني حقاً ؟ !

ثم ما هذه الروابط الثقافية التي يرجو أو يزعم أو يحقق السير ستافورد أنها كفيلة بأن تنطفئ هذا النزاع بين الدولتين : بين الدولة المتغطرسة المستبدة التي تحتل بلادنا ، وبين الشعب المسكين الذي ظل خمساً وستين سنة يجاهد في نيل استقلاله والتمتع بحرية الدولة المستقلة؟ لقد أغنانا السير ستافورد عن طلب الدليل بأن ذكر عدد الطلاب الذين أكرمت بريطانيا وفادتهم في هذه السنة ففتحت لهم أبواب جامعاتها . ولسنا ندري كيف يرجو السير ستافورد أن يكون هؤلاء الطلبة الذين درسوا في بريطانيا عاملا في حل النزاع السياسي بين مصر وبريطانيا ؟ ولكننا نعلم يقيناً أنه ما من شاب نعرفه ذهب إلى بريطانيا وعاد إلى مصر وهو مصري القلب واللسان ، إلا وهو مظلوم مضطهد في هوة من هوى النسيان ، وأنه ما من شاب نعرفه منهم عاد إلى مصر وهو يبرأ منها بلسانه وقلبه وجوارحه إلا كفلته بريطانيا ومهدت له حتى يتبوأ المنزلة التي تنبغي لمثله . ونحن لا نحب أن نسمي أحداً

باسمه ، ولكني أعرف أن آلافاً غيري يعرفون أحسن مما أعرف ، وعندهم من خبر ذلك أوثق مما عندي . أفهذا هو التعاون الثقافي الذي رمى إليه السير ستافورد ؟

لا ريب في أن هذا هو التعاون الثقافي الذي يعنيه ، وهو لا يلق بالاً كثيراً إلى شيء غيره من ضروب التعاون الثقافي لنشر العلم والمعرفة . بل إن بريطانيا نفسها لم تعن منذ دخلت مصر والسودان إلا بهذا الضرب وحده ، وما أظن أحداً يجهل ما كان من أمر البريطانيين يوم دخلوا مصر فزفوا مدارسها ، وعملوا عمل الحريص على نزع كل شيء يفضي إلى تعليم الشعب المصري من يد المصريين ، وأصروا على أن يأتوا بداهية من دهاتهم هو دنلوب ، ليضع برامج التعليم المصري . فكانت العاقبة أننا بقينا إلى هذا اليوم نرتطم في الأوحال التي قذفنا بها دنلوب ، ونمنى من إصلاح التعليم بعد الذي ابتلى به ، وبعد تلك الفئة من الرجال الذين أنشأتهم الثقافة البريطانية وأنشأهم دنلوب على ما يريد وأعطتهم بريطانيا مقاليد التحكم في وزارة المعارف المصرية .

ولم يقف الأمر عند شأن التعليم بمدنه ، بل سار على هذا النهج في كل عمل في الوزارات المصرية ، منذ كان وزير الاحتلال مصطفى فهمي باشا إلى هذا اليوم إلا من عصم الله . ومع ذلك فالفساد الذي لحق الإدارة المصرية كلها من جراء هذا الضرب من التعاون الثقافي ، قد تغلغل وضرب بجذوره في كل شيء حتى في الاجتماع المصري . وكل هذا بين لا خفاء فيه . ولنا عودة إليه إن شاء الله .

* * *

ثم إن تعجب فاعجب لهذا الغضب الرقيق والعتاب الحلو الذي جرى على لسان السير ستافورد كريبس من جراء «تهور» الحكومة المصرية في سن قانون الشركات . إن هذا القانون لا يكاد يعد شيئاً إذا قيس بقوانين الشركات وغير الشركات في بريطانيا نفسها ثم في سائر بلاد العالم ، ولكن السير ستافورد يغضب هذا الغضب الرقيق ويعاتبنا هذا العتاب الحلو ، لأن هذا القانون ينال شيئاً قليلا من الأجانب الذين يعيشون في مصر . وكيف لا يعاتب ولا يغضب علينا ، والأجانب هم الناس ، وهم مصر ، وهم أصحاب المصالح الحقيقية كما كانت تقول بريطانيا قديماً

إن الذي يريده السير ستافورد ، أو الذي تريده بريطانيا ، شيء واضح هو أنه لا يحل للشعب المصري أن يفكر ساعة واحدة في أن يسن في بلاده قانوناً يقيد حرية الأجانب أو يحد من ضراوتهم وفجورهم ، وإلا فعلى هذا الشعب المصري أن يحتمل تبعة هذه الجرأة وهذه الوقاحة التي تدفعه إلى الحد من سلطان سادته وأصحاب الكلمة العليا في بلاده . ولذلك رأينا الصحف البريطانية تغمز وتلمز أيضاً حين صدر قانون إقامة الأجانب في مصر مع أن مثل هذا القانون في بريطانيا نفسها يجعل الأجنبي يعيش في أرضها وعليه ملكان يكتبان كل شيء حتى ما توسوس به نفسه . ولكننا لا نستطيع أن نسن في بلادنا قانوناً كقانونهم وإلا فإننا متعصبون يضطهدون الأجانب ، وهذا التعصب كفيل بأن يقضي على كل نهضة في بلادنا ، وكفيل بأن يزعزع ثقة الأمم فينا ، وكفيل بأن يمنع عنا مدد بريطانيا الصالحة التقية الورعة ! !

إن هذه الخطبة التي ألقاها السير ستافورد كريبس هي خلاصة موجزة لأسلوب بريطانيا في إذلال الشعوب ، وإذلال شعب مصر خاصة ، فعسى أن لا يفوت الحكومة المصرية أن توغل في شرحها وتمحيص سائر مراميها ، لكي تعرف أن ساعة الجد قد دنت ، وأنه ليس بيننا وبين بريطانيا إلا العداوة المكشوفة ، وأن علينا أن نعمل رضيت بريطانيا أو أبت ، وعلينا أن نصابرها وأن نحتمل الضنك والبأساء في سبيل إنقاذ مصر والسودان من براثن هذا الوحش الضاري .

محمود محمد شاكر

من شـــوارد الشواهد

للأستـــاذ على الطنطاوى

٤٠ — إذا ما غضبنا غضبة مضرية

هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

للقُحَيف بن خُمَيْر (أو حُمَيْر)(١) بن سُلَيم الندىّ (أو البدىّ) شاعر إسلامى بكوفى أدرك الدولة العباسية ، أخذه منه بشار فأدخله فى قصيدته ، وقبله :

لقد لقيت أفناء بكر بن وائل

وهِزّان بالبطحاء ضرباً غشمشما(٢)

٤١ — ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد

لابن نُباتة السعدى(٣) الشاعر عصرى المتنبى(٤) ، وروى ابن خلكان أنه قال :

كنت يوماً فى دهليزى فدق علىّ الباب ، فقلت : من ؟ قال : رجل من أهل الشرق . قلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنت القائل (وذكر البيت) ؟ فقلت : نعم . قال : أرويه عنك ؟ قلت : نعم . فمضى . فلما كان آخر النهار ، دق علىّ الباب . فقلت : من ؟ قال : رجل من أهل الغرب . فقلت : ما حاجتك ؟ فقال : أنت القائل (وذكر البيت) ؟ قلت : نعم . قال : أرويه عنك ؟ قلت : نعم ، وعجبت كيف وصل إلى الشرق والمغرب(٥) !

---

(١) والذى فى القاموس غلط

(٢) أفناء الناس وأفناء القوم من لا يعرف من أين جاء ، والمشهور أنه ليس له واحد ولا يوصف به الواحد ، وقيل واحده فنو وفناً ، وهزان قبيلة ، والقحيف هذا من بنى عقيل وهم موالى بشار ، أعنى أنه هو مولاهم والولى من الأضداد .

(٣) وهو غير ابن نباتة خطيب سيف الدولة المتوفى قبله بسنين ، صاحب ديوان الخطب المشهور الذى لم يؤلف مثله ، والذى كثرت شروحه وآخرها ومن أجودها شرح الشيخ طاهر الجزائرى ، وغير ابن نباتة المصرى المتوفى فى القرن الثامن ، صاحب (سرح العيون) وغيره .

(٤) يقال هو عصريه ولا يقال معاصره .

(٥) قلت : ودعاية الأدباء لأنفسهم قديمة .

٤٢ — والناس ألف منهم كواحد

وواحد كالألف إن أمر عنى

لأبى بكر بن دريد ، الإمام اللغوى ، من مقصورته المشهورة ، التى يقول فيها :

من ظلم الناس تحاموا ظلمه … وعزّ عنهم جانباه واحتمى
من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما … راح به الواعظ يوماً أو غدا
من لم تفـــده عبراً أيامه … كان العمى أولى به من الهدى
من عارض الأطماع باليأس رنت … إليه عين العزّ من حيث رنا
من عطف النفس على مكروهها … كان الغنى قرينه حيث انتوى . الخ

وقد عارضها هازلاً محمد بن عبد الواحد الشاعر المعروف بصريع الدلاء ، بمقصورة عجيبة ، أسوق أبياتاً منها ، وإن لم تكن من صلب موضوعى ، قال :

من لم يرد أن تنتقب نعاله … يحملهـــا بكفه إذا مشى
ومن أراد أن يصون رجله … فلبسها خير له من الحفى
من دخلت فى عينه مسلة … فاسأله من ساعته عن العمى
من أكل الفحم تسودّ فمه … وصار سخن خده مثل الدجى
من صفع الناس ولم يدعهم … أن يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش تفجر رأسه … وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه … طار من القدر إلى حيث يشا
من شرب المسهل فى فصل الشتا … أطال ترداداً إلى بيت الخلا
من مازح السبع ولا يعرفه … مازحه السبع مزاحاً بجفا
من فاته العلم وأخطاه الغنى … فذاك والكلب على حد سوا
والدرج(١) يلق بالنشا ملتصقاً … والسرج لا يلصق إلا بالغرا
والذقن شعر فى الوجوه نابت … وإنما الاست التى تحت الـ(كذا)
فاستمعوها فهى أولى بكم … من زخرف القول ومن طول المرا
فتلك(٢) كالدر يضىء لونها … وهذه فى وزنها مثل الخرا …

٤٣ — إذا لم يكن صدر المجالس سيداً

فلا خير فيمن صدرته المجالس

لابن خالويه الحسين بن أحمد اللغوى النحوى ، وكان له شعر حسن رواه فى اليتيمة ، وبعده :

---

(١) الورق .

(٢) تلك يعنى الدريدية .

وكم قائل : مالى رأيتك راجلا ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس !

٤٤ — مالى سوى قرعى لبابك حيلة

فلئن رددت فأى باب أقرع ؟

لأبى القاسم عبد الرحمن الخطيب الأندلسى الشاعر الصوفى توفى فى مراكش فى أواخر القرن السادس الهجرى . من قطعته المشهورة عند الصوفية ، وهى :

يامن يرى ما فى الضمير ويسمع أنت المعدّ لكل ما يتوقع
يا من يرجّى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى ... (البيت)
من ذا الذى أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن عبيدك يمنع
حاشا لجدك أن تقنط عاصياً الفضل أجزل والمواهب أوسع

٤٥ — إن الثمانين (وبلغتها) قد أحوجت سمعى إلى ترجمان[1]

لعوف بن محلّم الشيبانى شاعر مجيد كان نديماً لطاهر بن الحسين ثلاثين سنة لا يفارقه ثم لابنه من بعده . من قصيدة قالها لعبد الله ابن طاهر ، وقد دخل عليه فكلمه فلم يسمع ، فارتجل هذه القصيدة ، وقبله :

يا ابن الذى دان له المشرقان طراً وقد دان له المغربان

وبعده :

وبدلتنى بالشطاط انحنا وكنت كالصعدة[2] تحت السنان
وقاربت منى خطاً لم تكن مقاربات وثنت من عنان
ولم تدع فىّ لمستمتع إلا لسانى وبحسبى لسان

٤٦ — لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

للأبله البغدادى محمد بن بختيار من شعراء الخريدة[3] شاعر مولد رقيق توفى فى أواخر القرن السادس الهجرى ، لقب بالأبله لقوة ذكائه ...

(١) بضم التاء والجيم وفتحهما وبالفتح والضم وهو الأجود .
(٢) الزج : الزج والقناة والسنان . والصعدة القناة المستقيمة .
(٣) للعماد الأصبهانى الكاتب

٤٧ — ما أنت أول سار غرّه قمر

شطر بيت الحريرى صاحب المقامات ، وبعده :

ورائد أعجبته خضرة الدمن[1]
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى[2]

٤٨ — منذا يعيرك عينه تبكى بها

أرأيت عيناً للبكاء تعار

للعباس بن الأحنف ، وقبله :

نزف البكاء دموع عينيك فاستعر عيناً لغيرك دمعها مدرار

٤٩ — قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه

قلت اطبخوا لى جبة وقميصاً

لأحمد بن محمد الأنطاكى المعروف بأبى الرقعمق المتوفى فى نهاية القرن الرابع ، شاعر يغلب على شعره الهزل كابن حجاج وصريع الدلاء ، وقبله :

إخواننا قصدوا الصبوح بسحرة فأتى رسولهم إلىّ خصوصاً

وله فى الهزل قصيدة طويلة ، أولها :

وقوقتى وقوقتى هدية فى طبق
أما ترون يسكم تيساً طويل العنق

٥٠ — والناس من يلق خيراً قائلون له

ما يشتهى ولأم المخطئ الهبل

للقطامى واسمه عمير بن شُيَيْم التغلبى شاعر إسلامى متقدم من الفحول ولقب القطامى ببيت قاله ، وقبله :

والعيش لا عيش إلا ما تقرّ به عين ولا حال إلا سوف ينتقل

وبعده :

٥١ — قد يدرك المتأنى بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل

٥٢ — وربما فات بعض الناس حزمهم

وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا[3]

(١) إشارة إلى حديث : إياكم وخضراء الدمن . وهو من جوامع الكلم والدمن فى الأصل المزابل .
(٢) إشارة إلى المثل المعروف : لأن تسمع بالمعيدى ...
(٣) وقد روى البيت رواية أخرى .

٥٣ — فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره
ومن يغوَ لا يعدم على الغيّ لائما

للمرقّش الأصغر، واسمه عمرو (وقيل ربيعة) بن حرملة[1]

وقبله :

أمن حلم أصبحت تنكت واجماً   وقد تعترى الأحلام من كان نائما

٥٣ — ألهى بني جشم[2] عن كل مكرمة
قصيدة قالهـــا عمرو بن كلثوم

لِسَمَوْج بن قيس بن مازن وهو ابن أخت القطامي شاعر خبيث اللسان ، وبعده :

يفاخرونَ بها مذ كان أولهم   بالرجال لفخر غير مَسْؤوم
إن القديم إذا ما ضاع آخره   كساعد فلّه الأيام محطوم

٥٤ — لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ   كنت كالغصان بالماء اعتصاري

لعدي بن زيد العبادي ، من أبيات له يستعطف بها النعمان ،

وقبله :

أبلغ النعمان عني مألكاً[3]   أنه قد طال حبسي وانتظاري

وبعده :

ليت شعري من دخيل يعترى   حيث ما أدرك ليلي ونهاري
قاعداً يكرب نفسي بثّها   وحراماً كان سجني واحتصاري

٥٥ — جاء شقيق عارضاً رمحه   إنّ بني عمك فيهم رماح

لجحل[4] بن نضلة الباهلي ، جاهلي ، وشقيق هذا هو شقيق ابن جزء بن رياح[5] من بني قتيبة بن معن.

٥٦ — عليَّ نحت القوافي من معادنها
وما عليَّ إذا لم تفهـــم البقر

للبحتري .

٥٧ — يا أيها الرجل المعلم غيره   هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصـــح به وأنت سقيم

(١) وهو أشعر المرقشين وهو عم طرفة والمرقش الأكبر عمه .

(٢) وروايته على الألسنة : ألهى بني تغلب .

(٣) رسالة كالألوكة .

(٤) الجحل في الأصل نوع من الحرباء سمي به .

(٥) عند الآمدي رباح وتصحيحها من الاشتقاق لابن دريد .

لأبي الأسود الدؤلي ، من قصيدته التي يقول فيها :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم[1]

٥٨ — قومي هم قتلوا أميم أخي   فإذا رميت أصابني سهمي

للحارث بن وعلة الجرمي من شعراء الحماسة ، من قصيدته التي مطلعها :

لمن الديار بجانب الرضم   فمدافع التزباع فالرجم

وبعده :

فلئن عفوت لأعفون جللا   ولئن سطوت لأوهنن عظمي

٥٩ — أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني[2]

لسُحيم بن وثيل بن عمرو بن جوين بن وهيب الرياحي من قصيدة له طويلة ، وقبله :

أنا ابن الغرّ من سلفي رياح   كنصل السيف وضاح الجبين

وبعده :

عذرت البُزْل إن هي صاولتني   فما بالي وبال ابنيْ لبون

٦٠ — وماذا تبتغي الشعراء مني   وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشُدّي   ونجّذني مداراة الشؤون
سأحيي ما حييت وإن ظهري   لذو سند إلى نضد أمين

٦١ — شاور سواك إذا نابتك نائبة
يوماً وإن كنت من أهل المشورات

للقاضي الأرّجاني ، وهو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد ابن الحسين ، قاضي تُستَر ، شاعر فقيه[3] وبعده :

فالعين تبصر منها ما دنا ونأى   ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وله البيت المشهور الذي تقلب حروف صدره فيجيء نماك عجزه :

مودته تدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم

(١) ورووا له فيها :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

والبيت الأول للمتوكل الليثي ، والله أعلم .

(٢) جلا اسم من أسماء العرب ، وابن جلا كناية عن الواضح الأمر وطلاع صفة لـ (أنا) والثنايا ج ثنية العقبة في الجبل يريد أنه يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها وقوله متى أضع العمامة كناية عن الحرب .

(٣) وهو القائل ، وأنه لم يجاوز الصدق .

أنا أفقه الشعراء غير مدافع   في العصر لا بل أشعر الفقهاء

٦٢ — فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

لمقر بن حمار البارق ، شاعر جاهلي محسن متمكن ، واسمه عمرو ، وفي نسبه اختلاف(١) .

وسمى معقراً لقوله في هذه القصيدة :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له ... كما مهدت للبعل حسناء عاقر

٦٣ — فيا شجر الخابور مالك مورقاً

كأنك لم تجزع على ابن طريف

للفارعة(٢) بنت طريف بن الصلت الشيبانية ، ترثى أخاها الوليد الشارى البطل الخارجى ، الذى خرج أيام الرشيد فى نصيبين والخابور وتلك النواحى ، من قصيدة لها معروفة ، ومنها :

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنى وسيوف

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى

فإن مات لم يرضَ الندى بحليف

فقدناك فقدان الشباب وليتنا ... فديناك من فتياننا بألوف

وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجى لعدو أو لجى لضعيف

ألا يا لقومى للحمام وللبلى ... وللأرض همت بعده برجيف

وللبدر من بين الكواكب قد هوى

وللشمس لما أزمعت لكسوف

ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرة ملحودة وسقيف

عليك سلام الله وقفاً فإننى

أرى الموت وقاعاً بكل شريف(٣)

(القاهرة) — على الطنطاوى

---

(١) بين الآمدى والرزبانى (راجع معجم الشعراء والمؤتلف والمختلف) .

(٢) وقيل اسمها فاطمة .

(٣) أقول (تعليقاً على المقالين السابقين) :

١ — روى فى اللسان بيت :

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

لابن مفرغ ، وهو لأبى الأسود وروى للفلتان الفهمى .

٢ — بيت :

فلا وأبيك ما فى العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

الذى رواه أبو تمام ، (وأنشدته عنه) ، ولم ينسبه - نسبه الآمدى فى المؤتلف والمختلف لجبل بن الملل الفزارى .

ليــل الهوى

للأســــتاذ أنور العطار

أسألى الليـل فهو ينبيك عنى ... يا غناى ويا رحيـق وَدَنّى

أنت منه هذا الوشاح المحلى ... بالدرارى، والشعر واللحن منى

عالم الليل مثله عالم الشعـ ... ـر غنى بألف فن وفن

أنت منه هذا الجمال الذى يو ... حى ويذكى الجوى ويحيى ويفنى

ويشق الأرواح من عنت الأيا ... م فتهتز كالربيع الأغن

جل من صاغه إطاراً من الحسـ ... ـن وأحياك للهوى والتمنى

يستعير الجمال منك سناه ... وتشيد المنى القصـور وتبنى

حار فى كنهك المضلل فكرى ... وشق غيظه ضمير إلى وظنى

ضمك الوهم صورة ليس تفنى ... واحتواك الخيال تمثال حسن

أتغنى وأنت منى الأمانى ... وأغنى وأنت منىّ لحنى

وأناجى حتى كأنَّ نجوى ... وكأنى طيف الهوى المتثنى

أى سحر هذا الذى امتلك النفـ ... ـس فأغرى طرفى وأسكر أذنى

كل نجم عين تصافح عينى ... كل روح سن تضاحك سنى

إنه الحب عبقرى يغنى ... ويهد القوى ويوهى ويضنى

ويثير الذؤوم فى عالم النو ... ب ويحيى الذكرى ويقصى ويدنى

إن شدا كان فرحة لا تبارى ... وحمى آمناً وجنة عدن

وملاذاً تصبو اللحون إليه ... من خلىّ حلو المنى مطمئن

وشجىّ كبلبـل مستهام ... يستمد الغناء من كل غصن

فى دنانى بقية من شراب ... هى قوت الهوى وروح التمنى

ويدى لم تزل على الوتر الطا ... راب والقلب لا يزال يغنى

طرس وعود . . .

للآنســــة دنانير

إذا عصفت أشواق روحى إليكم ... روحى ، وهاجت عبرتى وأنينى

فزعت بآلامى وحر مواجدى ... إلى صاحبىّ سرى أبث شجونى

فطوراً على طرسى أريق حشاشة ... تساقط أنفاساً وخفق وتين

وطوراً على عودى أوقع أنّة ... سماوية الأصداء ، ذات رنين

إذا عمرت أوتاره الخرس أعلى ... تناغت بأشواق لكم وحنين

نجيان أدنى من قريب وصاحب ... إلىّ ، وأحنى من أخ وخدين

بحث فى الكولرا

للدكتور فضل أبو بكر

هى داء عضال وشر مستطير ، وإحدى ما يسمونه فى الزمان الغابر بالأوبئة الثلاثة : الطاعون ، والحمى الصفراء ، والكولرا ، وهى حقاً ثالثة الأثافى لشدة وطأتها ولما تزهقه من أرواح وقد لقبها الغربيون بالوباء الأسيوى نسبة لوجودها فى بعض المدن والبلاد الأسيوية كالهند ولا سيما مقاطعة الهندستان والبنغال .

تاريخها :

الهند — كما ذكرنا — وطنها الأول إذ توجد فيها بحالة مستوطنة كامنة « Endémigue » وذلك منذ أجيال سحيقة كما جاء ذكرها فى المراجم الهندية القديمة المكتوبة باللغة السنسكريتية لغة قدماء الهنود .

هذا ولما كان البرتغاليون من أسبق الأوربيين فى فن الملاحة والأسفار كان أطباؤهم أيضاً أول من عنى بدراسة الكولرا ووصفها نذكر منهم « جاسبار » و « جوريا » و « جارسيا دى هورتا » سنة ١٥٤٣ .

فتك هذا المرض — فى القرن الثامن عشر — فتكا ذريعاً بالجيوش الفرنسية والانجليزية . غير أنه لم ينتشر بحالة وبائية إلا فى أوائل القرن التاسع عشر . وقسموا هذه الأوبئة — على وجه التقريب — إلى سبعة أقسام بالنسبة إلى تاريخ حدوثها وهى كما يأتى :

الوباء الأول :

من سنة ١٨١٧ إلى ١٨٢٣ بدأ فى الزنجبار وجزيرة موريس والهند الصينية الفرنسية والصين واليابان وبلاد الفرس وبغداد .

الوباء الثانى :

من سنة ١٨٢٦ إلى سنة ١٨٣٧ انتقل من الهند إلى الأفغانستان وتركستان وبلاد العجم كما وصل إلى روسيا وبلغاريا ومن ثم إلى بولندا وبروسيا الشرقية ، وامتد لهيبه إلى أوربا الوسطى وفرنسا وانجلترا وترك بفرنسا نحو مائة ألف من الضحايا ولم تنج منه أمريكا الشمالية والمكسيك .

الوباء الثالث :

من سنة ١٨٤٦ إلى سنة ١٨٥١ وقد ظل محصورا فى البلاد الأسيوية وشمال أفريقيا حتى عام ١٨٤٩ وبعد ذلك لحق بالنمسا ، وعم جميع فرنسا ومنها إلى البلجيك وهولندا والسويد والنرويج ثم عرج على اليونان وشمل على وجه الإجمال كل أوربا ووصل إلى شمال أمريكا .

الوباء الرابع :

من سنة ١٨٦٣ إلى سنة ١٨٧٦ منيت به أسيا الصغرى وبعض مدن أوربا كما أعلن ظهوره فى الأرجنتين وفى عام ١٨٦٦ كان بالسنغال وأواسط أفريقيا والحبشة .

الوباء الخامس :

سنة ١٨٨٣ أصيبت به مصر ، وفى أثناء هذا الوباء أحرز العلم نصراً كبيراً على يد خدن من أخدانه وأكبر ركن من أركانه هو العالم الألمانى الكبير « روبرت كوخ » مكتشف مكروب السل المعروف باسمه . اكتشف كوخ مكروب الكولرا لأول مرة فى مصر ، وذهب إلى الهند بعد عام واحد ، وقصد مدينة كلكتا وأثبت المرة الثانية حقيقة المكروب إثباتاً قاطعاً .

وصل الوباء بعد ذلك إلى جنوب أفريقيا وتمادى إلى أسبانيا وإيطاليا وسواحل البحر الأدرياتيكى .

الوباء السادس :

من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٨٩٦ نشب فى الهند وامتد لظاه إلى روسيا وألمانيا والنمسا وانجلترا وفرنسا وهولندا وبلجيكا .

الوباء السابع :

بدأ سنة ١٩٠٠ ، وبعد عام من نشوبه عم جميع بلاد الشرق الأقصى وامتد إلى آسيا الصغرى كما منيت به مصر وروسيا وبولندا وبعد مهادنة لم تدم إلا بضع سنوات شب فى روسيا وتركيا وإيطاليا وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ظهر من جديد فى روسيا ودام بها بضع سنوات ومات بسببه نحو ٢٠٧٣٨٩ من السكان .

أثر المواصلات فى انتشار الوباء :

إن المواصلات على اختلاف أنواعها من برية وبحرية وجوية

كانت وما زالت ضمن العوامل المساعدة على انتشار الوباء . لهذا كانت الرقابة الصحية على أشدها على الحدود والمراق، والمطارات حيث المحاجر الصحية ، وتكون الرقابة عليها صارمة عنيفة وقت نشوب الأوبئة في بقعة من الكرة الأرضية . فقد ارتبطت أجزاء العالم المترامية وقربت المسافات بفضل هذه المواصلات .

فالطريق البري مثلا ينقسم إلى قسمين : أحدهما شمالي ينتقل بواسطته المرض من جهات الهند والصين إلى روسيا بواسطة بحر قزوين ونهر الفلجا ومن روسيا إلى بلاد البلقان وربما عم كل أوربا .

والطريق الآخر جنوبي بواسطة السهل الواقع بين صحراء سوريا وإيران والذي يرويه نهر دجلة والفرات ، ومن هذا السهل تنتقل العدوى إلى مكة وربما يأتي بها الحجاج إلى مصر وشمال أفريقيا .

والطريق البحري يساعد على نشر الداء من كلكتا إلى الهند الصينية الفرنسية والصين وميناء سنجابور ، والطريق الآخر من بومباي إلى الخليج الفارسي وآسيا الصغرى وسوريا وتركيا .

طرق الإصابة وانتشار العدوى :

أهم ناشر للعدوى هو الإنسان نفسه ؛ ونقصد به المريض في طور الأصابة بل والناقه من المرض كذلك مايسمونه : « بحامل الميكروب » وهذا الأخير ليس بمريض في حد نفسه إذ لا يتأثر بالمرض ولا تظهر عليه عوارضه ولكنه جسمه يأوي جرثومة المرض ويضيفها تشهد عليه بذلك إفرازاته من برازية وبولية وأحياناً المصارة الصفراوية كل هذه المواد والسوائل تحوي بعض الميكروبات ومن هنا كان خطر هؤلاء الحملة كبيراً على السكان .

المياه ونقل العدوى :

تلعب المياه دوراً خطيراً في هذا الصدد ونقصد بها الموارد المذبة من أنهار وآبار وينابيع المستعملة في الشرب والغسل والطبيخ وغير ذلك من الحوائج المنزلية سيا إذا استعملت بحالتها الطبيعية من غير تعقيم ولا تطهير .

تلوث تلك المياه بما يصل إليها من إفرازات المريض أو غسل ملابسه أو مايستعمل له من أوان أو غيرها وكذلك الأمطار وقت هطولها قد تجرف بعض الميكروبات وتفضي بها إلى الموارد المذكورة .

الحيوانات ونقل العدوى :

أهم هذه الحيوانات الحشرات وأهمها الذباب الذي يهبط ويحط رحاله على إفرازات المريض يتغذى منها ثم ينقلها إلى الأطعمة والمواد الغذائية كذلك نوع خاص من النحل كما أثبتت بعض الأبحاث والوقائع الثابتة .

بواسطة المواد الغذائية :

إن المواد الغذائية على اختلاف أنواعها قابلة للتلوث بميكروب الكولرا وذلك بسهولة وبشتى الطرق من طريق الذباب مثلا أو غسلها وتحضيرها بماء ملوث أو التي يقوم بطبخها بعض المصابين أو الناقهين أو « حامل الميكروب » ، وقد شوهد أن الميكروب يمكنه أن يعيش على اللحوم مدة ثمانية أيام وعلى الخبز سبعة أيام وعلى السكر والملح نحو ثلاثين ساعة وعلى الخيار والطماطم نحو ثلاثة أيام وعلى البطيخ نحو ثمانية أيام . أما اللبن فقد يكون أقل تعرضاً للاصابة من غيره وذلك لأنه قابل للحموضة والتخمير وميكروب الكولرا تؤذيه البيئة الحمضية وتودى به إذا ارتفع منسوبها

الانتشار بواسطة الأشياء :

أي جميع الأشياء التي تلامس المريض من طريق مباشر أو غير مباشر وأهم هذه الأشياء الملابس ، وقد وجد الطبيب « سطن » سنة ١٨٢١ أن مريضة ماتت من مرض الكولرا وكانت ترتدي قناعاً وقت مرضها وقد احتفظت ابنتها بذلك القناع كتذكار وحفظته في مكان وبعض مضي عشرة أشهر على ذلك ظنت الابنة أنه ليس هناك خطر أو بأس من ارتداء القناع وقد أصيبت بالمرض على أثر الارتداء من هنا نعلم خطر الملابس الشديد .

الأعمار وأثرها في الإصابة :

دلت التجارب على أن السن لها دخل في الأصابة فالطفل الصغير في طور الرضاعة لا يصاب بالمرض ولا تظهر عليه عوارضه حتى ولو كانت أمه أو مرضعته مصابة بالداء ولكنه قد يصير من جراء تعرضه من « حملة الميكروب » .

كما أن الأطفال أقل قابلية من البالغين والكهول والشيوخ أقل من الكهول ولكن أصابتهم تكون في الغالب أخطر على حياتهم من غيرهم وذلك لضعف أجسامهم وعجزها عن المقاومة .

عوارض المرض :

هناك فترة قصيرة بين إصابة الجسم بالمكروب وظهور أول العوارض وهي ما تسمى بال « Incubation » تتراوح بين ثلاث ساعات إلى خمس وقد تمتد إلى خمسة أيام ، وإن كان متوسطها لا يعدو يومين ، وقد وضع القانون الدولي للمحاجر الصحية حداً لتلك المدة وقدرها بخمسة أيام تتخذ في أثنائها جميع الاحتياطات اللازمة .

الطور الأول :

يبدأ المرض بإسهال شديد مسبوق بأوجاع مؤلمة على طول أمعاء القولون نتيجة لالتهابه ويشعر المريض بتعب وفتور عام ويكون لون المواد البرازية مخضراً أو رمادياً .

الطور الثاني :

يبدأ غالباً في الهزيع الثاني من الليل معلناً ظهوره بألم شديد في أعلى البطن وأسفل الصدر مع شعور المريض بالبرد الشديد ولاسيما في الأطراف التي تهبط حرارتها ويشعر المريض بضيق في التنفس وبشيء من الاختناق لذلك يلهث ويكثر تنفسه ويسرع نبضه ودقات قلبه التي تضعف ضرباتها في نفس الوقت . أما الإسهال فتشتد وطأته وقد تبلغ كمية المواد نحو ست لترات وهي عبارة عن سائل مبيض أشبه بشربة الأرز من حيث اللون والشكل ويفقد رائحته المألوفة كذلك يتقايأ المريض وقد تبلغ كمية القيء مبلغ البراز.

أما البول فيندر وتقل كميته ويصبح التبول عسيراً ومصحوباً بآلام شديدة .

الطور الثالث :

تشتد فيه العوارض المذكورة ويزداد حرج المريض وكربه ويقل البول بل ينعدم إفرازه ويشعر المريض بالاختناق وبالبرد الشديد كما يهبط ضغط الدم ويهزل الجسم وتغور العينان ويصبح الجسم كالعود اليابس الذي جف ماؤه وزالت نضرته . وقد يلاقي المريض حتفه في هذا الطور .

أنواع المرض بالنسبة لحدته وشدة وطأته :

هنالك نوع أخف وطأة مما ذكرنا وهو أقل خطراً بالطبع كما أن هنالك أنواعاً حادة أشد بأساً مما سلف ذكره وقد تودي بالمريض في مدى يومين ، وصنف آخر أكثر حدة وأشد خطراً من كل ما ذكر وهو أشبه بالذبحة الصدرية ويسمونه « بالكوليرا الجافة » لأنه لا يكون فيه إسهال ولا قيء وهو يصيب غالباً الشيوخ وضعاف الجسم وقد يموت من جرائه المريض بعد يوم واحد أو بعد بضع ساعات .

(البقية في العدد القادم)

فضل أبو بكر

حول جدل فى الجامعة

للأســـتاذ محمد أحمد خلف الله

تحت هـذا العنوان كتب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر يقول « ولكن الذى لنا وللعلماء خاصة هو القيامة على الحقائق العلمية وعلى الحقائق الدينية ننفى عنهما الخبث وندافع عنهما كل من يحاول عليهما العدوان . » وأنه مادام مقال المقال الذى كتبته فى الرسالة . عدد ٧٤٣ فإنه يفتح باباً وسيعاً من المناقشة والحساب فى مسائل علمية ودينية لها أكبر الخطر ويترتب عليها أعظم النتائج العلمية والأدبية والاجتماعية والقانونية إلى أن يحصل على أشياء أخرى غير المقال .

ومناقشة الأستاذ لهذا المقال قسمان مسائل وشتائم فلنبدأ الحديث عن المسائل .

١ — قلت من المعروف دينيا ألا نستنتج من نص قرآنى أمراً لم يقصد إليه القرآن . فقال الشيخ هذه الدعوى تهجم عارم على العلم وعلى القرآن جميعاً وبين ذلك بقوله أليس القرآن الكريم كلاماً له الدلالات النطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التى لكل كلام سواء فى ذلك كل أنواع الكلام .

ولا نفهم كيف يكون لكل كلام دلالات ثلاث تقصد منه مع أن عبارة المتن — الذى يعرف بعلم البيان — « والإيراد المذكور لا يتأتى بالوضعية أى بالدلالة المطابقية ويتأتى بالعقلية أى التضمنية والالتزامية . »

ومعنى ذلك كما يلحظ القارىء أن الإيراد البيانى بالتجوز والاستعارة والكناية ... الخ لا يكون إلا ببعض هذه الدلالات . ولذا لا ندرى كيف حكم الشيخ بالدلالات الثلاث لكل كلام .

ثم أين مايقوله البيانيون ورجال البلاغة من حال المتكلم وحال المخاطب والقرائن العقلية وأين السياق والمقام حيث يقولون لكل مقام مقال أين كل هذا يا صاحب الفضيلة أليس كل هذا يدل على أنه لا يصح أن نستنتج من أى نص أمرا لم يقصد إليه القائل .

ثم هذه الآية نفسها التى أوردها الشيخ وهى أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة تدل الدلالة القوية على تأصيل القاعدة التى نقول بها إن لم تكن مؤصلة وإلا فليدلنى الشيخ وقد ماذا يكون موقفه من العلم حين يثبت بقرائن مادية يقول بها علماء الجيولوجيا من أن هذا البيت ليس أول بيت وضع للناس من الناحية الزمنية أيصر على موقفه أم يرجع إلى قصد القرآن ويفهم ما فهمه بعض المفسرين من أن الأولية هنا ليست أولية الزمان .

ولو قرأ الشيخ المقال الافتتاحى فى عدد الرسالة الذى نشر فيه مقاله وعنوانه (القرآن والنظريات العلمية) لوجد الضرورة القصوى الداعية إلى تأصيل هذا الأصل فى فهم نصوص القرآن لو كان غير مؤصل فى فهم عبارة كل متكلم . لكنه أصل لا نعرف أحداً يستطيع المشاحة فيه ؟ ولـكن ؟

٢ — وقلت إن القصص القرآنى من المتشابه فقال الشيخ فلسنا نعرف أحداً من الأصوليين ولا أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابهاً .. كما يقول فى موطن آخر فالأستاذ الإمام لم يقل إن القصص من المتشابه ولم يقل بذلك مسلم قبله أو بعده ...

ونبدأ مع الشيخ بالعموم الجرىء فى قوله إنه لا يعرف أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآنى متشابهاً ونضع بين يديه ما فى التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأبى حيان جـ ٢ ص ٣٨١ طبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ ونصه [وقال مقاتل المحكمات خمسمائة آية ... الخ والمتشابه القصص والأمثال . وقال يحيى بن يعمر المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال .]

ثم نضع قول الطبرى فى جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ١٠٧ الطبعة الميمنية ونصه [والمتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السورة فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعانى وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى .]

ثم نضع قول الطبرى فى كتابه مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ ١ طبع صيدا ص ٤٠٩ ونصه [والمتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد] . وهذا الرأى هو الذى نقله الأستاذ الإمام فى تفسير المنار حيث لم يكتف بما نقله الرازى من أقواله فى المتشابه (أنظر المنار جـ ٣ ص ١٦٥) ولا نطيل بنقله ولعل فى هؤلاء واحداً يكون من المسلمين عند الشيخ ؟

فإذا انتقلنا إلى الخاص وهو نقل الأصوليين أحلنا الشيخ على إيراد الآمدى لهذا الرأى فى كتابه الأحكام جـ ١ ص ٢٣٨ طبعة المعارف ومناقشته له .

كما نضع بين يديه عبارة الشوكانى فى كتابه إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٢٨ ونصها (ومثل المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال) .

فهل لم يعرف الشيخ واحداً من هؤلاء جميعاً ؟ .

٣ — وقلت إن من المفسرين من لا يلتزم أن كل ما ورد فى القصص القرآنى من أحداث قد وقع بل بعضه أحداث غير واقعة فقال الشيخ :

ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ما ورد فى القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الأزمان .

وإقحام الشيخ الأصوليين هناك لا معنى له فليسمع كلام المفسرين الذين تحدثت عنهم إذ يقررون أن من القصص القرآنى أحداث لم تقع .

جاء فى ابن كثير حـ ١ ص ٥٩٠ بعد تفسيره لقوله تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ... الخ ما نصه (عن ابن جريج عن عطاء أن هذا مثل) وقد وضع على لفظه مثل رقم ١ وكتب على الهامش بآلة الطباعة هذه العبارة (يعنى أنها ضرب مثل لا قصة واقعة) .

وجاء فى الرازى حـ ٢ ص ٣٣٣ نسخة الصالة بدار الكتب وذلك بصدد الحديث عن قصة ابراهيم والطير ما نصه [المسألة الثانية . أجمع أهل التفسير على أن المراد بالآية قطعهن وأن ابراهيم قطع أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها على بعض غير أبى مسلم فإنه أنكر ذلك وقال : إن ابراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميت من الله تعالى أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن إليك الأمالة والتمرين على الأجابة أى فعود الطير الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها أجابتك وأتتك فإذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحداً حال حياته ثم ادعهن يأتينك سعياً والغرض منه ذكر مثال محسوس فى عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة] .

وجاء فى المنار حـ ٣ ص ٥٢ بعد تفسيره لقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ما نصه [ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم] .

وقد كرر الأستاذ الأمام تفسير بعض القصص القرآنى على هذا الأساس ويكفى أن نحيل الشيخ إلى الصفحات من ٢٨٠ — ٢٨٢ من الجزء الأول ليعرف أن الأستاذ الأمام قد فسر قصة آدم من سورة البقرة على أنها قصة تمثيلية .

على أنا نستطيع أن نضع بين يدى الشيخ هذا النص القاطع الذى لا يحتمل شكا فى أن مذهب الأستاذ الأمام هو هذا .

جاء فى المنار حـ ١ ص ٣٩٩ الطبعة الأولى ما نصه [ومن البديهى أن ذكر القصة فى القرآن لا يقتضى أن يكون كل ما يحكى فيها عن الناس صحيحاً فذكر السحر فى هذه الآيات لا يستلزم إثبات ما يعتقد الناس منه كما أن نسبة الكفر إلى سليمان التى علمت من النفى لا تستلزم أن تكون صحيحة لأنها ذكرت فى القرآن ولو لم يكن ذكرها فى سياق النفى .

قال الأستاذ الأمام ما مثاله . بينا غير مرة أن القصص جاءت فى القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لأجل الموعظة والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز مواطن الهداية ولا بد أن يأتى فى العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح .

وقد يأتى فى الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكى عنهم وإن لم تكن صحيحة فى نفسها كقوله (كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) وكقوله (بلغ مطلع الشمس) وهذا الأسلوب مألوف فإننا نرى كثيراً من كتاب العربية وكتاب الأفرنج يذكرون آلهة الخير والشر فى خطبهم ومقالاتهم لا سيما فى سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئاً من تلك الخرافات الوثنية .

ويقول أهل السواحل غربت الشمس أو سقط قرص الشمس فى البحر أو فى الماء ولا يعتقدون ذلك وإنما يعبرون به عن المرئى] . انتهى بنصه من حديثه عن قصة هاروت وماروت

وبعد أفلا يرى الشيخ أن الأستاذ الأمام وأن الشيخ رشيد رضا يذهبان إلى أن كل ما ذكر فى القصص القرآنى لا يلزم أن يكون صحيحاً لأنه ذكر فى القرآن بل يكون غير صحيح وإنما ذكره القرآن وهو يعتقد بعدم صحته لأن ذلك هو الأسلوب

لمادى فى التخاطب وهو الذى يجرى عليه الأدباء .

على أنى أستطيع أن أذهب مع الشيخ إلى أبعد من هذا فأقول له إن الأستاذ الإمام يفضل هذه الطريقة فى التفسير وهى طريقة التأويل على غيرها .

قال رحمه الله ج ١ ص ٢٧٣ ما نصه (أفلا تزعم أن لله ملائكة فى الأرض وملائكة فى السماء ؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض ؟ وهل حددت أمكنتها ؟ ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى أجسامهم النورانية تضىء لك فى الظلام أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام ؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعبارة التى تلقفتها عنهم كى لا يوحشك بما يدهشك وترك لك النظر فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها أفلا يكون ذلك أروح لنفسك وأدعى إلى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئاً من وراء حجاب ؟ ووقفت على سر من أسرار الكتاب ؟ فإن لم تجد فى نفسك استعداد القبول أشمة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض فى إدراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذى آمنت به ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته وهم فى إيمانهم أعلى منك كعباً وأرضى منك بربهم نفساً .

ألا إن مؤمناً لو مالت نفسه إلى فهم ما أنزل إليه من ربه على النحو الذى يطمئن إليه قلبه كما قلنا كان من دينه فى ثقة ومن فضل ربه فى سعة) انتهى بنصه .

والآن ماذا يرى الشيخ ؟ . وماذا يرى غيره من الثائرين ؟

إنا لنمتثل معهم بقول القرآن الكريم (وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

ومن هنا نستعرض من القسم الثانى من مقال الشيخ وهو قسم الشــتائم لعله يفقه الحق ويصل إلى الرشد ويقف على أسرار قرآننا الكريم .

محمد أحمد خلف الله
كلية الآداب — جامعة فؤاد

هجرة المختار :

يا صاحب الحوض المطهر ..

للشــــاعر محمد هارون الحلو

هل غير بابك للمؤمل باب ... يا خير من تسمو به الألقابُ
شمت بنورك فى البرية آية ... هى فى الخلائق سنة وكتاب
كفل الإله لنا بظلك نجوة ... من كل مايخشى الورى ويهاب
الكوكب الدرى فى أفق الورى ... هذا النبى ، تبارك الوهاب
نزل الأمين عليه يحمل معجزاً ... للمرتجين به هدى وثواب
آى من الكلم الجوامع لم يزل ... للعقل منها منطق وخطاب
فيض من الألق السنى تفرقت ... منه وشائع سحرهن عجاب
ما كان شاعر أمة وقبيـــلة ... هذا الزكى الطاهر الأواب
بل كان ملهم حكمة وشريعة ... تسمو بها الأخلاق والآداب
بعث النبى وقومه فى غمرة ... وحديثهم فى المرسلين كذاب
ورثوا عن الأشياخ من آبائهم ... بهتان ما شبوا عليه وشابوا
اللات والعزى وآلهة الهوى ... تسعى لها الأعناق والأذناب
والرأى وهو من الفطانة والحجى ... تقضى به الأزلام والأنصاب
والقتل وهو على النفوس محرم ... لم يبق منه الثأر ما هو عاب
والخلف داء فى القلوب أصابهم ... فى مقتل فغدوا وهم أحزاب
فغدا الرسول عليهم بيقينه ... والحق سيف يمينه وقراب
فأضلهم شيطانهم إذ ردهم ... فى غيهم خاب الهدى وخابوا
ماضر لو تبعوا الهدى من ربهم ... وسعى بهم نحو الفلاح ركاب
قد كذبوه وناهضوه وإنه ... فيهم لينبوع جرى وسحاب
يدعو إلى التوحيد وهو جبلة ... دانت بها وبنورها الألباب
برهانه نور الكتاب مفصلا ... ولهم حجاج خاسر وسباب
أيقر عقل أن تقوم خليفة ... وبظلها تتسابق الأرباب
ماغير رب العرش فى ملكوته ... بين الخلائق قاهر غلاب
حملوا الأذى عنه وحل عنهم ... ما يحمل النصراء والأصحاب
يتآمرون عليه وهو مناصح ... أيفيد نصح فيهم وعتاب
ضاقوا بدين الله وهو مبلج ... ضاح يشع ضياؤه الخلاب

نفث النوى ضلالهم فى روعهم   فغدوا وهم ظفر يصول وناب
يتوثبون ودون ما قد قدروا   لقاء أحمد حاصب وشهاب
داروا ببيت المصطفى وسبيلهم   دون النبى مسالك وشعاب
واستلأموا كى يقتلوه وما غفى   فى البيت إلا الفارس الوثاب
يتنظرون مع الصباح غدوه   وصباح ليل المشركين ضباب
يا نائماً والروح حارس مهده   وسيوف مكة من فراشك قاب
خفوا إليك يناوشونك بالأذى   يا بئس ما خفت له الأعراب
بكروا على ما بيتوا من أمرهم   وبهم هدير صاخب وَوِثاب
ويتمتمون بحسرة وخيمة :   «هذا على دُونه ثياب»
وافوا على أمل يقر عيونهم   وغدوا بخزى الخاسرين وآبوا
ومضى رسول الله يطلب غاية   برعاه من ظل الإله جناب
هل يعلمون بأن دون لحاقه   ووثاقه تتقطع الأسباب !!
ساخت يدا فرس يجد بفارس   القلب منه واجل هياب
ويد النبى تشير : قف متصاغراً   يا أيهذا الواغل الطلاب
وسراقة المصروع يهتف بالهدى   أنت النبى وما يديك عاب
ولوى العنان وكان أول مؤمن   حلت عليه وصاولته هضاب
وطوى الرسول البيد وهو على خطاً
من غار ثور والطريق يباب
أوما إليه المصطفى بتحية   فانهل منه البشر والترحاب
قف بى حيال الغار وقفة خاشع   فالغار فى بطحائه محراب
حشد اللائك حوله مستلئمين وهم لدين المصطفين غضاب
وكأن روح القدس فى أجناده   من حوله أسد العرين وغاب
هذا هو الغار المحجب سره   رق الظلام به فما ينجاب
فيه ونور الحق أبلج مشرق   دون البصائر ظله ونقاب
لا يستبين القلب منه مظنة   فيها لسعى الطالبين رغاب
فمثاشة فيها الحمائم فرخت   وعليه من نسج العناكب باب
صور بحار الفكر فى تدبيرها   عجباً وليس له بهن جواب
الله أكبر ذاك نصر محمد   ما فيه شك أو به مرتاب
منعته كف الله من أعدائه   فمضى على التوفيق وهو مهاب
لله درك يا أبا بكر فقد   شدت بك الأوتاد والأطناب
وبك الشريعة قد توطد ركنها   وسمت بها فى المشرقين قباب
مذ جاءك النبأ العظيم وأنت فى   ظل النبى السابغ الجواب
تفدى وتبذل عن يقين صادق   لم يثن عزمك شدة وصعاب
فى الغار كنت المفتدى خير الورى   والقلب ظام والنفوس جداب
حين ابتليت بوائب متربص   والسم منه تمجه الأنياب
والمصطفى حان عليك مطبب   والجرح باسمه الطهور لعاب
علمتنا معنى الوفاء ولم يزل   لك فى وفاء الصادقين كتاب
هذا الخضم أماله من شاطئ،   يا رب ترسو عنده الآراب
فالليل داج والسالك وعرة   فيها بروع الساخرات عباب
والرفأ المأمول منه عجيب   ووراء عين الناظرين سراب
لولا هدى المولى تبارك وجهه   ما لاح نجم أو أضاء شهاب
فسفينة الملاح يهدى سعيها   صوت من الله العلى مجاب
الروح حاديها إلى شط السلا   م فكيف يستبق الخطا جواب؟
هذى مشارف يثرب ائتلقت وأشرق بينها للصاحبين رحاب
وسرت مع الصبح النور نفحة   تهفو بها النسمات وهى عذاب
وغدا النبى ووجهه متهلل   جذل فسمرة ليله تنجاب
وسما كب البشرى تحف ركابه   وبها قلوب بالنشيد طراب
ونجيبة المختار يحدو خطوها   بين الهتاف الصحب والأحباب
ويرف حول المصطفى نسم وظل (م) فيه من مسك الربى أطياب
فالسهل بلله الندى برشابه   وسقاه فهو منضر معشاب
والنخل ذو الأكمام مال مصفقا   وله أكف زانهن خضاب
وترى الجحافل والكتائب بالسيو
ف تشابكت منهما عليه قباب
والطير باللحن الشجى تسابقت   منها لترجيع الهوى أسراب
عرس به غدت المدينة مشهداً   عجباً تهيم بسحره الألباب.
يا قدس هذا اليوم يوم محمد   فيه تجلى الواحد التواب
هى هجرة ميمونة لجلالها   ذلت كواهل فى الورى ورقاب
ياصاحب الحوض المطهر هل إلى   ظام بحبك نفحة وشراب ؟
ورد الهوى لو يستباح لظامئ،   لذ المدام ورقت الأكواب
أنا من يثاليه الهوى وله به   روح وريحان ند وملاب
نهواك نهوى فى هواك مثوبة   والأمن فى يوم يقوم حساب
لى منك يا جد الحسين شفاعة   ترجى إذا غشى النفوس عذاب
فى يوم تصطفق الجوانح خشية
ويشف عن كشف الغيوب حجاب
صلى عليك الله جل جلاله   ما انهل بالعذب النمير سحاب

محمد هارون الحلو

الأدب والفن في أسبوع

مات الزين :

مات أحمد الزين ! فكان موته فجيعة الأدب فى الشاعر الكبير ووجيعة القلب فى الصديق الكريم ، ومأساة الأسرة فى العائل الراحل .

أما الصديق الكريم فقد غشينا من الأسى لفقده ما غشينا . وتلاقينا بعد نعيه وكان الواحد منا يقول لصاحبه : مات الزين ! ويكاد يجهش لولا التجلد والتجمل . ونطرق صامتين برهة ... ثم تتلاقى نظراتنا كليلة متداة . . وفى نفس كل منا ما فيها من المشاعر والخواطر ، وكلها تدور حول ذلك الفقيد الذى ظل حياته ينفع بأدبه وينافح بجلاده ، حتى صرعه الموت ، بعد أن عرفته العلة ، واستنفد العلاج القليل المدخر ، ولم يبق إلا الصغير اليتيم الذى لم يكد يضع قدمه النضة على عتبة المدرسة ...

صفوة للتاريخ الأدبى :

كان الزين من أعلام الشعر فى هذا العصر ، وكان يستمد شعره من نبع فياض هو نفسه الشاعرة ، وكان يجل فنه ويقدسه ، فلم يقصد به إلى منفعة ، ولم يتوسل به إلى كسب . كان يقول الشعر يصور به نفسه ويعبر عن مشاعره ، فقال كثيراً فى الغزل العاطفى الرقيق ، الذى يدل على عاطفته القوية الصادقة التى تتجلى أيضاً فى رثائه لأصدقائه الراحلين . والمستوعب لشعره يجد العاطفة هى السلك الذى ينتظم حياته ، ومن ذلك قصر مدائحه على أصدقائه من كبار الأجال ، وله خواطر ألمية فى نقد المجتمع وأحوال الناس ، كان يصوغها صياغة فنية بارعة . ولعل آخر مطولاته القصيدة التى قالها فى ذكرى أحمد تيمور باشا سنة ١٩٤٥ ومطلعها :

ذكرى على صدق الوفاء دليل … يمضى بها جيل ويقبل جيل

وفيها يقول :

لا تبك من عاش عمراً واحداً … إن التراب على التراب مهيل
هل عاش أو هل مات لا تسأل به … فمماته بحياته موصول
ما زاد عن تعب الولاد لأمه … والناس وهو إلى الثرى محمول
ومن البلية أن أكثر من ترى … فى الناس ذاك العائش المشكول
فاملأ موازين الزمان فلن ترى … فى الناس ميزان الزمان يميل
تفنى العصور على الرجال بحكمها … والباقيات الصالحات عدول
تيمور إن نفقد حديثك بيننا … فصداه فى أفق الزمان يجول

وقال بعد هذه القصيدة قطعاً كثيرة مختلفة لعل آخرها عشرة أبيات مدح بها معالى إبراهيم عبد الهادى باشا ، فى أوائل هذا العام ، منها قوله :

ماذا تزيدك فى الملا أقوال … من بعد ما شهدت لك الأعمال
عمر تضيق سنوه عن أعماله … فكأنما أعوامه أجيال
ماض ملئ بالجهاد وحاضر … حفل ، وآت كله آمال
ومواهب جمعت لديك لو انها … فى أمة لم يكفها استقلال
ومواقف أفنى خلود حديثها … عن أن يقام لخلدها تمثال

وكان صديقاً لمعاليه . ولك أن تعجب من صداقة موظف باليومية لم يبلغ الدرجة السادسة إلا أخيراً لرئيس ديوان جلالة الملك ! ولكن عجبك يتحول إلى الإكبار عند ما تعلم أن فقيدنا كان ، إلى عظم منزلته الأدبية ، كبير النفس ، فلم يكن ليصغرها بطلب شىء لذاته ، وربما رجا لغيره ... ومن هنا ظل شعره بعيداً عن أن يكون سبباً من أسباب الحاجات مع توفر هذه الحاجات !

ولم يكن الزين من المقلدين فى الشعر والزيفين للشعور ، بل كان صادق الفن ، يصدر عن ذات نفسه ويعبر عن خالص وجدانه ، وكان مرهف الحس دقيق الشعور واضح المعانى ، يؤدى كل ذلك فى ديباجة مشرقة وألفاظ عذبة ، لا تجد له لفظاً مستكرهاً ولا معنى ملتوياً .

وكان يعنى بالتوقيع الموسيقى فى شعره ، يؤلف أجزاءه منسجمة متآخية ، ثم يردده فى تنغيم خاص يطرب له ، ويستدعى به ما بقى من القصيدة ...

وكان رحمه الله يريد أن يجمع شعره فى ديوان ، ولكن شغلته شواغل العيش ثم متاعب المرض ثم عاجلته المنية .. وقد نشر أكثر شعره بالرسالة والأهرام والثقافة ، وقد طبع فى

مستهل حياته الأدبية ديواناً سماه « قلائد الحكمة » أكثره أراجيز تدل على يد، معالجته للقريض كما يدل على ذلك تخميسه لقصيدة امرئ القيس «قفانبك» الذي أخرجه أيضاً في مطبوع صغير . وأطلق عليه لقب « الراوية » لكثرة ما كان يحفظه ويرويه من أشعار العرب . وكان للزين جهد جليل الشأن في تحقيق الآثار الأدبية وتصحيحها وإخراجها ، وكان يعمل في ذلك بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، وقد أخرج ستة أجزاء من « نهاية الأرب » وأخرج الجزء الأول من أشعار الهزليين وكان يعمل في الثاني ، ومن مجهوده في هذا الميدان خارج دار الكتب اشتراكه مع الأستاذ أحمد أمين بك في إخراج كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ومعه ومع الأستاذ إبراهيم الأبياري في إخراج أربعة أجزاء من كتاب « العقد الفريد » . وقد اشترك الثلاثة أيضاً في إخراج « ديوان حافظ » بتكليف من وزارة المعارف وأخرج الأستاذ الزين « ديوان إسماعيل صبري » وقدمه بدراسة قيمة .

وقد تخرج الفقيد في الأزهر إذ حصل على شهادة العالمية سنة ١٩٢٥ وكان وهو طالب يتردد على الجامعة المصرية القديمة لسماع محاضراتها الأدبية . وفي سنة ١٩٢٦ عين مصححاً بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، وظل بها حتى نقل في هذا العام إلى المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف . وقد توفي في العقد الخامس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧ .

المأساة :

كان الزين موظفاً باليومية في دار الكتب المصرية ، لا تحسب في أجره العطلة أيام الاثنين (العطلة الأسبوعية في دار الكتب) والإجازات والأعياد ، وظل مرتبه اليومي يزداد قروشاً طيلة مدة خدمته ، حتى وصل إلى ثلاثة وأربعين قرشاً يعطي منها ثمانية قروش لكاتبه الذي كان يلزم له في عمله بحكم حالته إذ كان مكفوف البصر . وجاء أخيراً (كادر العمال) فقفزت به أحكامه إلى الدرجة السادسة .. وقد عد من العمال لأنه يعمل باليومية مثلهم !

وعاش الشاعر الكبير صابراً على هذه الحال ، متجملا بالتعفف ، منطوياً على عزة نفسه ، يروح ويغدو وفي وجهه ماء الكرامة والكبرياء ... وظل مع ذلك يصدح على أيكة الشعر ويخرج الأدب المعتق في هذا البلد الذي يحترق فيه كرام الأدباء وينال حظوة أوليائه المتافون ومن إليهم من سائر الوصوليين ... ثم داهمه المرض من نحو ستة أشهر ، وتعاوره الأطباء ... هذا يقول : « قرحة المعدة » وذاك يقول له : « داؤك في الكبد » وثالث يقول بثالث .. وكل يعطي حقناً ويكتب (روشتة) ويأخذ (كشفاً) حتى نفد القليل الذي ادخره من أجرة على تصحيح الكتب التي اشترك فيها خارج عمله الحكومي ، وحتى نفدت أثمان حلي الزوجة .. ثم نفد الرجل .. وخلف ثروة أدبية لا نفع فيها للأيم واليتيم الذي تركه في نحو العاشرة من عمره . ويقضي قانون الحكومة بمنح الورثة مكافأة تجمع من أجر نصف شهر عن كل سنة من مدة خدمة موظف اليومية !

وبعد فماذا عسى أن يكون مصير ابن أحمد الزين الشاعر الراوية والأديب الكبير ؟

أيتها الدولة . عينك بصيرة وليست يدك قصيرة ...

ذكرى شوقي في الأوبرا :

لعل القراء يذكرون ما كنا قد أخذناه على اللجنة التي ائتلفت لإحياء ذكرى شوقي من اعتزامها الاحتفاء بالذكرى في (أوبرج) الأهرام ، وتسعير مشاهدة الحفل ، واشتمال البرنامج على رقص و (منلوجات)

وقد حدث بعد تفنيدنا ذلك أن أعاد أعضاء اللجنة النظر في الموضوع ، واقتضى ذلك تأخير الاحتفاء بالذكرى عن موعدها

وقد استقر الرأي أخيراً على أن تقام حفلة إحياء ذكرى شوقي في مسرح الأوبرا بدلا من (الأوبرج) وقد عين لإقامة هذه الحفلة يوم ٢٨ نوفمبر الحالي .

ويشتمل برنامج الحفلة على شعر من خليل مطران بك والأستاذ محمود حسن إسماعيل والأستاذ علي محمود طه والدكتور إبراهيم ناجي والأستاذ طاهر أبو فاشا .

وممن سيلقي كلمات نثرية معالي إبراهيم دسوقي أباظه باشا ومحمد صلاح الدين بك وعزيز أباظه باشا والأستاذ أنور أحمد .

ويتخلل ذلك موسيقى ، وتمثيل من مسرحيات شوقي ، وغناء شعر لأحد الشعراء في ذكراه .

وقد جرت محادثات أو مفاوضات مع عبد الوهاب وأم كلثوم للاشتراك في الحفلة بغناء في شعر شوقي . أما عبد الوهاب فأبى أن يغني أمام الجمهور ورأى الاكتفاء بتسجيل قطعة تذاع في الحفلة . فلم تقبل اللجنة هـذا الوضع الذي لا يتفق والوفاء الواجب على عبد الوهاب لشوقي الذي طالما غنى شعره أمام الجماهير

وأما أم كلثوم فكانت قد تمنعت ، ولـكن لا تزال المفاوضة جارية معها ، والمأمول أن تساهم في ذكرى شوقي ، ولو مقابل « سلوا قلبي » و « أغنية السودان » و « ريم على القاع » التي أخذتها بالمجان من ديوان الحتني بإحياء ذكراه ..

بقي أمران لابد من الإشارة إليهما ، الأول أن الحفلة لا تزال مسمرة ، أي أن مشاهدتها ستكون بنقود تدفع ثمناً (لتذكرة الدخول) ولم تجر العادة بذلك في الحفلات الأدبية .

الأمر الثاني رياسة «شرف» الحفلة ، المسندة إلى هيكل باشا الموجود الآن في أمريكا . ولو فرضنا أنه في القاهرة وسيحضر الحفلة فأنا أظن أنه يترفع عن الرياسة « الفعلية » لحفلة إحياء ذكرى شوقي ، كما أظن أن « رياسة الشرف » شيء قديم لم يعد الآن مستساغاً .

المازني يتزوج الأدباء :

كتب الأستاذ المازني في « أخبار اليوم » مقالا عنوانه « لو أصبحت امرأة » وما كنت لأتعرض لمثل هذا الموضوع لولا أن كاتبه المازني ، ولولا أنه يصور طوراً من الأطوار التي يمر بها إنتاج هذا الأديب الكبير . ذلك الإنتاج الذي يخف ولكنه لا يبرد ، فهو دائماً تشيع فيه روح الدعابة والظرف ، وقد تشيع هذا الموضوع الأخير من ذلك ، بل زاد فيه حتى جاوز درجة التشيع ..

تقر المازني من تصور نفسه امرأة ، فأبعد هذا الانقلاب التصوري عن نفسه ، وحوله إلى الأدباء ، متصوراً أنهم نساء وأنه يختار أحدهم أو إحداهن زوجة . استقبح هذا التصور وجعل يصور قبحه ، فقال عن العقاد : « ..ثم من هذا الذي يطيق امرأة فيلسوفة تأبى إلا الغوص والتعمق في كل شيء ، وإلا أن تتناول كل مسألة بالعقل والمنطق » ثم انتقل إلى غيره فقال : « أو خذ توفيق الحكيم — أو توتو ، أو فيق ، أو حكمت ، إذا جعلناه امرأة » إلى أن قال « ... وتنقدها كل شهر (مصروف) البيت فتقتر عليك ، وتقدم لك الطعام — إذا قدمت شيئاً — في (رشامة) » ويدع الحكيم فيقول : « وإن طه حسين الكريم يحب لين العيش وخصبه ، ولكن هذه الزعامة ستكون على حسابي لا على حساب (حسنية) ! ثم إنه يحب السيطرة والتحكم وإن كان يبدو ليناً ، وأنا أكره أن تحاول امرأة أن تتحكم في ، صراحة أو مداورة ، فإذا كانت حسنية هذه — كفانا الله السوء زوجتي فسينتهي الأمر بأن أخنقها أو تخنقني . وحسنية تحب باريس والغرب وأنا أكرهها وأحب الشرق ... الخ »

ولم يخل الموضوع من شيء ، فقد أشار — كما ترى — إلى صفات في هؤلاء الأدباء بهذا المزح الأكثر من اللازم ...

كل ذلك وعنوان المقال « لو أصبحت امرأة » ويظهر أنه وضعه ليسير في التخيل على أنه هو المرأة ولكنه رجع عن هذا التخيل ونسي العنوان ، أو أبقاه على طريقة لفت الأنظار بالعناوين الشاذة !

ونرجع إلى حيث بدأ ، فنتصور المازني في امرأة ! لا عليك من النظر .. إنه كرم ظريف حلو الشمائل لين الجانب ، ولكن من يتزوج « زوزي » التي لن تفرغ له ، لأنها تكتب في ٩٩٪ من الصحف والمجلات المصرية ؟ ! إن الحياة مع « زوزي » هذه لابد أن تكون سلسلة من المتاعب والمقالات ..

« العباس »

البريد الأدبي

الطير الأبابيل في تفسير الأستاذ الإمام :

قلنا في كلامنا الذي نشر بالرسالة عن القرآن والنظريات العلمية أن محاولات التوفيق « قد تكون مأمونة معقولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التي تسمى بالميكروبات . فالميكروبات موجودة لا شك فيها ، والإصابة بها محققة كذلك في مشاهدات تجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح » .

وهذا الذي فعله الأستاذ الإمام حين أجاز أن تكون أصابة أحجار الفيل من قبيل الإصابة بجراثيم الأمراض .

وقد كتب الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى أحمد الزرقا إلى الرسالة معقباً على مقالي فقال : « لعله اعتمد في قضية الطير الأبابيل على رواية أحد نسب ذلك الرأي إلى الشيخ محمد عبده أخذاً عما أشيع عنه واشتهر » .

ولكن الواقع أننا لم نعتمد على الرواية بل اعتمدنا على كلام الإمام نفسه ، ولم ننسب إليه غير ما جاء في نص تفسيره حيث قال في الصفحة الـ (١٥٨) من تفسير جزء عم يتساءلون : « فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه وان كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤس الجبال — فهذا الطاغية الذي أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدري أو الحصبة فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة » .

إلى أن قال رحمه الله : « هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته ، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر » .

وفي هذا النص يرى الفاضل الأستاذ « الزرقا » إننا لم نعتمد على الرواية المنقولة ، ولم نتجاوز بالنص معناه حين قلنا أن الأستاذ الإمام أجاز تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التي تسمى بالميكروبات ، وهو تفسير مقبول ولا شك — كما قلنا — على سبيل الجواز والترجيح .

عباس محمود العقاد

بيان :

خاضت الصحف في الكلام عن رسالة « فن القصص في القرآن الكريم » تقدم بها طالب في كلية الآداب لينال بها درجة دكتور ، وتحدثت بعض الصحف عن حرية البحث وعن أمور تتصل بهذا الموضوع .

وحقيقة الأمر أن رسالة قدمت إلى كلية الآداب فألفت لجنة لفحصها طبقاً للوائح ، فرأت اللجنة أنها لا تصلح أن تكون موضوعاً للمناقشة المعتادة في درجة الدكتوراه ، فردت الرسالة إلى صاحبها وهذا يقع في الجامعة كثيراً .

فما كان ينبغي أن تكون الرسالة بعد هذا موضوع جدال في الصحف ، فرسائل الجامعات التي تقبلها الكلية المختصة وتأذن بالمناقشة فيها ونشرها تبقى سراً بين الطالب وأساتذته ، وكل ما فيها من آراء عرضة للاصلاح والتغيير والحذف ، فإن رفضتها الكلية فهي كورقة امتحان لم ينجح صاحبها .

هذه حقيقة الأمر . ولكن بعض الكتاب ؛ ومنهم الطالب كاتب الرسالة ، خاضوا في جدال فيها ، وكنت حينئذ غائباً عن مصر فلما رجعت عملت على ألا ينشر شيء في هذا الموضوع ، وأجبت محضرتي صاحبي الفضيلة وكيل الأزهر وسكرتيره العام مبيناً أن هذه الرسالة لا تجوز المناقشة فيها ولا المؤاخذة بها

ما دامت ورقة امتحان يقدمها طالب لأساتذته منتظراً رأيهم فيها وقد نشر فضيلة السكرتير العام خطابه إلىّ وجوابى له .

رجوت أن ينتهى الجدل عند هذا الحد ، ولكن الطالب كتب مرة أخرى متحدثاً عن الانتكاس فى الجامعة ، وسألت الجريدة التى كتب فيها الطالب كلمة الأستاذ المشرف على الرسالة فكتب كلمة عن حرية الرأى ، وذكر المحنة العقلية والأخلاقية الخ

وقد أسفت الكلية لاشتراك الأساتذة فى جدل فى الصحف حول موضوع من موضوعات الامتحان . والتمست من الأساتذة الذين لهم صلة بهذا الموضوع أن يكفوا عن كل جدل صحفى ، وألححت على الأستاذ الذى أشارت إليه الكلمة التى نشرها زميله ألا يجيب مهما يكن له من حق فى الإجابة ، ومهما يكن عنده من أدلة لتأييد رأيه ونصحته الكلية ألا يدخل فى هذا الجدل ، وعرفته أن ليس من سنن الجامعات ولا من كرامة الأساتذة أن ينقلوا أبحاثهم من الجامعة إلى جدال فى الصحف . فكتب هذا الأستاذ إلى الصحيفة التى وعد بالكتابة فيها معتذراً من الرد ؛ قائلا إن الجهات الرسمية منعته من الكلام ، والجهات الرسمية التى أشار إليها هى الجامعة ، ولم تدخل جهة رسمية أخرى فى هذا المنع .

وأما الكلام من الانتكاس فى الجامعة وحرية الرأى فلا محل له فى هذا الموضوع قط . فان كان الطالب حراً فى أن يبدى رأيه فى رسالته فللأساتذة أيضاً الحرية فى أن يبدوا آراءهم فيقبلوا آراء الطالب أو يردوها ؛ هل يراد أن تكون هذه الحرية للطالب دون الأساتذة ، وهل يحق لكل طالب يرفض رأيه فى امتحان أن يشكو من التضييق على الحرية .

الجامعة لم تمنع الطالب من أن ينشر آراءه بعيداً عنها بكل وسيلة يراها ، ولم ترد الجامعة على أن قالت إن البحث الذى فى هذه الرسالة لا يستحق عندى درجة علمية ، وبقيت الحرية للطالب ومن يرى رأيه ، فى أن ينشر آراءه فى كتاب من عنده لا فى رسالة من رسائل الجامعة ، بعد أن أبدت الجامعة رأيها فيها وردتها ، وحينئذ يحتمل وحده تبعة ما فيها من غلط أو ضلال . ومادام هذا فى مقدرة الطالب فلا حق لأحد فى أن يدعى أن الجامعة تمنع حرية البحث .

وبعد ، فالجامعة أعرف بحرية الرأى ، وأدرى بحدود هذه الحرية ، وأبصر بتوجيه طلابها ، وأقدر على نقد ما يكتبون . فالرجو من أنصار حرية الرأى أن يتذكروا هذا ، ولا ينكروا على الجامعة حريتها فى التصرف فيما هو من خصائصها ، فان الجامعة تطالب بحقها فى الحرية أيضاً وتتمسك به قبل الناس جميعاً .

عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب

من شوارد الشواهد :

إن جميع ما يكتبه الأديب البارع الأستاذ الطنطاوى مما يحرص الأديب الناقد على تلاوته ، لعلمه بأنه لا يكتب إلا طريفاً ممتعاً ولا يكون إلا محسناً مبدعاً ، ومن تلك الأبحاث المفيدة التى ينشرها فى مجلة الرسالة مجلة العلم والأدب والإسلام والعرب مقالته (من شوارد الشواهد) ، التى علق عليها فى الحاشية بقوله : (فأرجو ممن وقف على نص فيه تصحيح نسبة بيت مما ذكرت أن يرشد إليه فقد يعزى البيت إلى غير راويه ، أو ينحل غير بانيه) .

والطنطاوى عهدناه من المحافظين فى الآداب على الأنساب ، وهو ممن لا يرد رجاؤه ، وقد وجد الشاهد (٢٤) معزوا إلى إبراهيم الصولى وهو :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وهذا البيت المعدود من شوارد الشواهد ، لأبى تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسن على بن مرة ، وأرسلها إليه من ساميراء إلى دمشق مع أخيه سهم ؛ ويروى هذا البيت فى غير الديوان (إذا ما أيسروا) ، ويرى مؤلفو كتاب البيان والبديع أن إبراهيم الصولى قد ضمنه أبياتاً منها قوله قبل هذا البيت :

أولى البرية طراً أن تواسيه
عند السرور الذى واساك فى الحزن

وليس هذا البيت للصولى بل هو لأبى تمام أيضاً ، وهو فى ديوانه قبل الشاهد ، وتختلف عنه رواية الديوان قليلا ، فهو فيه :

أولى البرية حقاً أن تراعيه عند السرور الذى آساك فى الحزن

وقبل هذا البيت فى الديوان :

لى حرمة بك فاحفظها وجازبها يا حافظ العهد والعواد بالمنن

وللصاحب بن عباد تضمين حقيق لهذا الشاهد بقوله :

أشكو إليك زمانا ظل يعركنى
عرك الأديم ، ومن يعدو على الزمن

وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته
دهراً فغادرنى فرداً بلا سكن

وباع صفو وداد كنت أقصره عليه مجتهداً فى السر والعلن

كأنه كان مطوياً على احسن ولم يكن في قديم الدهر أنشدني:

« إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن »

(دمشق) التنوخي

تذكير:

أنا لم أكن أرى مواصلة الرد على ما جاء في الرسالة (الفن القصصي في القرآن) لأن ارد على هذا الطالب يوهمه أن في رسالته علما وأنه أهل لأن يتكلم بكلام العلماء ، ويجرئ غيره من طلاب الجامعة على ابتغاء الشهرة قبل أوانها بحماقة أخرى مثل هذه ..

ولكن ما دام قد رد عليه جماعة من أهل الفضل فإني أذكرهم بأمرين ما انتبه لهما واحد منهم .

أولهما : أن هذا الطالب لم يبتكر هذا الذي جاء به في رسالته وعقدها عليه ، بل نقله عن سان كلير التسدال من كتابه الذي وضعه لتكذيب القرآن ، وسماه (مصادر الإسلام) وهو مترجم إلى العربية ومطبوع ، وفي رسالة الطالب نقل منه وعزو إليه كثير .

وثانيهما : أن هذا القول يمس جوهر الشريعة ، لأن أدلة الشرع منها ما هو متفق عليه ، وهو الكتاب والسنة والقياس (ولا عبرة بخلاف الظاهرية فيه) والإجماع ، ومنها ما هو مختلف فيه (وهو معتبر في الدين على كل حال) كالاستحسان والمصالح المرسلة وشرع من قبلنا ، وعلى ذلك يكون ما حكاه الله (في قصص القرآن) من شرائع من قبلنا شرعاً لنا ، ويكون ما جاء في كتاب التسدال وفي رسالة الطالب ، هدماً لهذا الأصل من أصول الدين ، ولما بني عليه من أحكام فقهية ، في المذهب الذي هو مذهب القضاء والفتوى في مصر .

علي الطنطاوي

العجول والأناسي:

حضرة العلامة صاحب الرسالة

أرجو أن تضيفوا إلى إمضاء « الحفيف » كاتب المقال بهذا العنوان . لأني مشاطره في تأثره وانفعاله من تصرف البهيم الذي كان يسوق بهائم هي أرأف منه وأعطف . وإني لشريكه أيضاً في الأسى والأسف لبؤس الغلمان الذين كان النفر الشرطي يقودهم كالأغنام ويجلدهم .

مثل هذه القسوة الفظيعة على البهائم نراها كل يوم في شوارع العاصمة حتى في أهم شوارعها وأرقاها (ولا أقول أنظفها لأنها لم تعد نظيفة كما كانت من زمان) . ومثل هذه القسوة الشنيعة التي يقسوها الشرطة على الغلمان البائسين في سوقهم إلى دار الشحنة نرى كل يوم .

فأين جمعية الرفق بالحيوان تثبت وجودها ؟ أم أنها نفقت مع الحيوانات الموبوءة وما بقي إلا ذكر اسمها لكي لا يقال أن مصر خالية من معالم المدنية . وأين جمعية الشفقة على الإنسان ؟ أم أنها لم تولد حتى الآن .

إن هؤلاء الذين يزعم الجاويش أنهم من سارق الجيوب وخاطفي الحلي قد يكونون كما زعم . وهم مئات الألوف في البلد . فماذا تفعل بهم دار الشرطة ؟ هل تسجنهم ؟ ترحمهم إذا سجنتهم . ولكنها لا تسع جيشاً من المتشردين والنشالين . تهددهم ثم تطلق سراحهم . ويعودون إلى جرائمهم .

والله إنهم ليسوا مجرمين . إنما المجرم هذا النظام الذي حرمهم أسباب الرزق وأسباب التربية والتعليم . علموهم وربوهم ثم اعتقلوهم بذنوب إن أذنبوا .

نقولا الحداد

الأبيات لابن رهيمة وليست لعلية:

في كلمة الأستاذ الفاضل « العباس » تحت عنوان (غزل علية) — الرسالة رقم ٧٤٨ — وردت الأبيات « وجد الفؤاد بزينبا » على أنها للأميرة الشاعرة . والحق أن هذه الأبيات لابن رهيمة المدني وهو شاعر أموي . وقد ذكر ذلك أبو الفرج في أخبار علية ، إذ قال بعد أن أورد هذه الأبيات منسوبة إلى علية: « هكذا ذكر ميمون ابن هرون ، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجي ، ولم يحصل ما رواه ، وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدني والغناء ليونس الكاتب ، وهو من زيانب يونس المشهورات ، وقد ذكرته معها ، والصحيح أن علية غنت فيه لحناً » انتهى قول أبي الفرج .

أما زيانب يونس هذه ، أو زيانبه ، فقد جاءت كلها في أخبار يونس الكاتب (أغاني جزء ٣) وعددها سبعة ، والشرط فيها أن تكون من شعر ابن رهيمة ، وكان يقولها في زينب بنت عكرمة وقد أباح هشام بن عبد الملك دمه أن هو عاد لذكرها ، وفعل ذلك بكل من تغنى في شيء من شعره ، فهرب هو ويونس فلم يقدر

عليهما ، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا ، وقال ابن رهيمة فى ذلك :

لئن كنت اطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهى لقـــلْ إذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعدذا لحبى لزينب لا يذهب

هذا وللاستاذ « المياس » أصدق الإعجاب والتقدير لما يتحفنا به فى صفحة « الأدب والفن فى أسبوع » من أدب وفن .

نابلس — فدوى عبد الفتاح طوقان

رأيت « الناصر » :

عظيمة وعظيمة وعظيمة ... لقد قامت دليلا ناهضاً على أن العربية تتسع للمسرحية . . لقد جاءت برهاناً جديداً على عبقرية أباظه . . لقد أبانت بجلاء قيمة الفرقة المصرية ... إنه لمن حسن حظ المرء أن يتمتع برؤية الناصر ، إذن سيجد الشعر المتلىء روحاً المتين نسجاً البليغ تعبيراً . . سيجد التمثيل الكامل بالنجاح المتوج بالفوز المتشح بالبهاء . . سيجد كيف أجاد الشاعر وأجادت « فردوس » وكيف تمكن الشاعر وتمكنت « أمينة » وكيف أبدع الشاعر وأبدع « علام » ... وان ينسى مليات ...

وعلى كل حال ... فما لهذا بعثت بكلمتى إلى « البريد الأدبى » فإن لذلك مكانه الخاص الذى يقتضى التفصيل والتحليل والإفاضة أما الذى أريده فهو ملاحظات عابرة خطر لى أن أذيعها أملا فى تدارك الصحيح الممكن منها ...

١ — معلوم أن المسرحية شعرية عربية فصيحة وإذن فمن المناسب جداً أن لا نلفظ « الثاء » سيناً والذال « زاياً » والجيم « . كيا » ... الخ

٢ — وإنى إذ أكبر تمكن الممثلين من إعراب كلامهم — مع جهل أكثرهم بقواعد النحو — أقول إذ أكبر ذلك .

فإنى أرجو أن لا نسمع مرة ثانية مثل « فى ظل كرامة » وما شابهها .

٣ — ومع احترامى « لزهراء » وإجادتها التمثيل ... فإن الإنسان ربما لاحظ أن « تكوينها » لا يصلح لأن تكون المرأة التى بُنيت من أجلها « الزهراء » ...

٤ — أما الإخراج فهو ممتاز بالطبع . . ولكنى لا أدرى كيف يحدث جرح من دون إراقة دماء . . لقد طعنت « منى » « شفق » طعنتين قاتلتين ولكنا لم نر أثراً للدماء . . ولا تمزقاً فى الثياب . . . أرى ذلك إنما حدث لأن منى لم تعرف كيف تقبض على الخنجر !! لا أدرى . .

٥ — ولا أدرى ما هى الضرورة التى تدعو « الجاسوس » لأن يلبس « حذاءاً » بحيث نحسه وقع خطوه إذا ما مشى على خشبة المسرح وقع قائد جيش منتصر . . أظن أن الجاسوس يعنى التستر فى كل زمان ومكان .

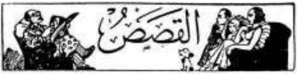
٦ — هذا وهناك عادة إخالها جارية فى أكثر بلاد الله . . إذا ما انتهى فصل من فصول « الرواية » أسدل الستار فصفق الشاهدون إعراباً من إعجابهم فرفعت الستارة ليظهر الممثلون بوضع « طبيعى » يردون فيه التحية . .

ومع أنه من حق الجماهير أن يعبروا عن تقديرهم ومن واجب الممثلين أن يردوا التحية . . إلا أنى أرى أن فى هذا المظهر ما يبعد الشاهدين عن جو « الرواية » ويعيد إلى أذهانهم بأنهم أمام تمثيل بعد أن أنستهم الإجادة ذلك وغمرتهم فى جو جعلهم يتصورون أن « فردوس » هى « منى » حقيقة وأن « أمينة » هى « شفق » واقعاً وأن « فاخر » هو عبد الله صدقاً . . وعليه وعليه فمن المستحسن ترك هذه العادة . .

٧ — أما الروح الشعرى الذى سكبه أباظة فى مسرحيته فلا يخفى على أحد . . ولكن قد يحسّ الإنسان أن هناك بعض الألفاظ القليلة التى هى أقرب إلى الاستعمال النثرى من قبيل « كفوأ » ومن قبيل « الكوب » وقبيل « ركد قلبى ركداً »

٨ — وإذ أجل تمكن الأستاذ الشاعر من إضفاء الروح الوطنية على مسرحيته . . تمكناً يشعرك أنها متلائمة مع عصر الناصر . . أقول إذ أجل ذلك فلا يضير أن أشير إلى أن الأستاذ الشاعر قد ينسى « الناصر » فيظهر فى عصر « أباظة » فيدعه يتحمس بالدعوة إلى « جبهة عربية » هذا مع العلم أن « أمية » الأندلس ليست مثل « أمية » الشام فى هذا الموضوع ... أقول هذ مع احترامى « للجبهة العربية » .

٩ — ومعلوم أن ذكر الناصر و « الحكم » يقترن به دائماً بنهضة الثقافة ولكن الأستاذ المؤلف لم يجل لنا هذه الناحية التى تصور مجداً إنسانياً عالياً ، الناحية التى تركت أسبانيا تحتفل بمرور ألف سنة على « الناصر » الناحية التى تركت الغرب يحسدون العرب من أجلها ... لقد دخلت « الأوبرا » وكلى أمل أن أمتع برؤية « المدارس » وألذ بمشاهدة مجالس الأدب ، وأسعد بالنظر



نظـــرات حادة

مترجمة عن كنجلى جوردون

بقـــلم الأديب سيد أحمد قناوى

استهل « بنيامين هارفورد » حياته كمحام وهو يؤمن تمام الإيمان بهذه العبارة التى طالما طالعها فيما كان يطالع حتى نزلت منه بمنزلة العقيدة الراســخة ، وهى بالنص « الشخصية مصدر للقوة » . فقد كان « هارفورد » مقتنعاً بأنه ذو « شخصية » لها مقوماتها الخاصة وذاتيتها البارزة …

كان « هار فورد » طويل القامة مهيب الطلعة — كما وأنه فى مشيته أدنى إلى الاختيال والزهو … وحق له أن يزهو بعد فعاله الباعثة للدهشة …

خذ على سبيل المثال قضيته الأخيرة . . فقد أفلح فى دفاعه عن « بلنكى لويس » حين اتهم هذا الرجل بقتل أحد رجال البوليس . . وكانت وقتئذ الأدلة موفورة ضد « بلنكى » حتى عده القاضى مداناً ومال المحلفون إلى مشاطرته هــذا الرأى قبل استكمال إجراءات المحاكمة ؛ ولــكن المحامى « بنيامين هارفورد » كان يعلم أن بلنكى برىء . . وذلك بعد ما اختبره اختباراً عاتياً وامتحنه امتحاناً قاسياً بعد أن ركز فيه كل شخصيته وسلط عليه « نظراته الحادة » حتى انتزع منه الاعتراف الأخير الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذ قال له المتهم المرض لجيل الشــنقة هذه الجملة المؤثرة : « نجنى يا أستاذ . . فلست أنا الذى أرتــكب هذه الجريمة » .

إلى « الــكتيبات » … ولــكن … ولــكن شيئاً من ذلك لم أنظر به … لقد قصر الأستاذ المؤلف « الناصر » على « السياسى » وعلى ما يجب أن يكون عليه الملوك إزاء رعيتهم … وأنا لا أنــكر فضل كل أولئــك على كل من « الملك والرعية فى كل زمان ومكان » … بل إن العناية بذلك فى مسرحية كالناصر ضرورة لابد منها وقد وفق فيها الأستاذ الشاعر أيما توفيق ، توفيقاً لا يقل عن مهارته البارعة فى تصوير الحالة النفــية لشفق والحــكم والناصر أجل لقد وفق وأجاد ولــكنى كنت أطمع بالإضافة إلى ذلك بأن أتمتع برؤية النهضة الثقافية بعينى …

تلــكم هى بعض الملاحظات العابرة التى خطرت لى فى أثناء مشاهدة « الناصر » للمرة الأولى فى الليـــلة الأولى … وهى لا تنقص من عظمة المــرحية . إنها لعظيمة وعظيمة وعظيمة ، ولقد كان من موحيات تلك الليلة أن اقترح على الفرقة القومية بل على وزارة المعارف — رغم جهلى ما بين السينما والمسرح من فروق — أن تجتهد لتخرج المسرحيات الناجحات أمثال العباسة وقيس لبنى والناصر … على الشاشة ، لــكى يتسنى للناس خارج القاهرة مشاهدتها ويتسنى للاجيال المقبلة أن تلذ رؤيتها ويتسنى لتاريخ المسرح العربى أن يلمس مصادره الأولية … (م)

مذكرات سجين :

كتب إلينا من دمشق أن قصة (مذكرات سجين) المنشورة فى عدد الرسالة الأسبق ، سبق نشرها فى الرواية ، مترجمة ترجمة جيدة بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى .

حول رسالة (القصص الفنى فى القرآن) :

تشرف وفد من علماء الأزهر بزيارة قصر عابدين ورفع إلى السدة اللــكية مذكرة علماء الأزهر التى يطلبون فيها :

(ا) تحويل الرسالة إلى فضيلة مفتى الديار المصرية ليقضى فيها من ناحيته باعتباره جهة الاختصاص .

(ب) دعوة كبار العلماء لعقد اجتماع لمناقشة الأستاذ أمين الخولى باعتباره (عالماً) فيما اعترف به من تأييد الرسالة .

(ح) وقف الأستاذ أمين الخولى ومحمد أحمد خلف الله افندى عن عملهما حتى يفصل فى أمرهما .

(٥) عدم تجديد عضوية الأستاذ أمين الخولى بمجلس إدارة كلية أصول الدين والمذكرة موقعة بتوقيع فضيلة الشيخ الشربينى رئيس الجبهة وعضو هيئة كبار العلماء ، وفضيلة الشيخ الزرقانى سكرتيرها الأستاذ بكلية أصول الدين .

نعم . قال « بلنكى » هذا . . وما كان لإنسان أن يستغفل « هارفورد » أو يقول له غير الحق ! . . والواقع أن دفاع « هارفورد » الحار البليغ مصحوباً بسحر شخصيته القوية ، قد نال من ثبات القاضى ، وزعزع يقين المحلفين ، فإذ بالحكم يصدر آخر الأمر بتبرئة ساحة « بلنكى » … ويالها من نجية عاطرة تُرجى إلى قوة « هارفورد » فلولاها لأُدين « بلنكى لويس » حتما وسيق إلى حبل المشنقة … وكذلك « هارفورد » يؤمن فى قرارة نفسه أن « بلنكى » لم ينجح بفضل ذلاقة لسانه ولباقة دفاعه ، بل بفضل نظراته الساحقة الحادة التى سلطها على المحلفين وهو يتوجه إليهم بالحديث فإذا هم من سحرها متهاوون متخاذلون

ولقد راح « هارفورد » يفاخر بقوته وهيبته هذه فى النادى الذى يختلف إليه حتى ضاق الأعضاء ذرعا به ونفروا منه وجعلوا يسفهون آراءه .. فلما ألمت آخر الأمر نازلة بأحد أعضاء النادى ، إذا الوحى يهبط على « هارفورد » بالفكرة الرائعة والرأى الباهر فإن هذا العضو قد استهدف للسطو عليه وهو عائد إلى داره ليلا . وما كاد يفرغ من سرد قصته على الأعضاء ويعلق تعازيهم على مصيبته حتى راح « هارفورد » يقهقه عاليا ويقول بلهجة التوكيد

— لو كنت مكانك لما اعتدى على اللص وسلبنى مالى …

فقال العضو المسروق المسكين : أحقاً ؟ . وماذا كنت تفعل ؟

فأجاب « هارفورد » جاداً متفلسفاً : إن اللص مخلوق جبان . . وهو يظفر من « مركب النقص » بحظ كبير . . ومن السهل تخويف مخلوق كهذا بمجرد نظرة من رجل يملك قوة الشخصية . . فقال العضو اليائس : — حسناً . . ربما يعتدى عليك فى إحدى الليالى . . وسنرى حينئذ ما يكون … وفى الحق أن « هارفورد » الذى يؤمن كل الإيمان بقوة شخصيته ، تمنى أن يقع له مثل هذا الحادث … وأن مصاولة مع لص مستد لهى المحك الواقع والبرهان الساطع … ولئن خرج من هذه المصاولة فائزاً مظفراً لكان فيها أبلغ الدليل ، حتى أمام أعضاء النادى الأغبياء ، على أنه حقاً ذو نظرات حادة خارقة .

لكن هذا اللص المنتظر لم يتفضل بالظهور وإسداء الجميل الذى ينشده « هارفورد » .. فقد راح يختلف إلى الشوارع المظلمة دون جدوى . . وطالما كان يلمح فى الزوايا والمنحنيات أشباح رجال كامنين متربصين ، ولكنهم كانوا لا يلبثون أن يختفوا إذا دنا منهم …

هنالك ضاق « هارفورد » بهذا حتى كان يسير فى جولاته الليلية مفتوح السترة لمل سلسلته الذهبية اللامعة تغرى الطامعين وتحرك الراصدين بل راح يمسك قفازه بيده عسى أن يكون فى تألق خاتمه الماسى ما يدفع اللص المرتقب إلى الهجوم والعدوان .. لكن عبثاً كان يرجو ويمنى النفس ، فلم يقع شىء مما أراد … ولما جعل زملاؤه فى النادى يقولون له متهكمين : ألم تقابل اللص الموعود بعد ؟ » فيزيد بذلك « هارفورد » ضيقاً حتى حمله هذا على أن يقوم برحلات خاصة إلى المناطق الخطرة المشبوهة ، بيد أن اللصوص رغم ذلك كله تجاهلوه كل التجاهل ! . .

لكن « لكل شىء وقته » « وكل آت قريب » . فقد كان « هارفورد » مؤمناً بهذه الحكم وأمثالها .. وقد زاد إيمانه بها حين وقع له الحادث السعيد وهو يوشك أن يستسلم للقنوط .. وبينما هو ذات ليلة فى الطريق إلى داره وقد أوشك أن يبلغها إذا شبح يبرز له من أحد الأركان ويعترض سبيله بهذه العبارة : — « ارفع يديك !! ...

فخفق قلب « هارفورد » .. رجاء وأملا ! .. ورفع يديه على الفور فإنه كان قد رسم فى ذهنه خطة العمل سلفاً ، ورأى أن الامتثال لأمر اللص برفع يديه هو مما يتمشى مع هذه الخطة . أما إظهار الشخصية فسأله لها وقتها الرسوم المقدور ! .. وكان اللص كريه النظر ، بيده مسدس وعلى وجهه قناع . وهو بلا ريب لص حقيق خطير من الطراز الذى يشتهيه « هارفورد » .. ولا يفل الحديد إلا الحديد ..

وقال له « هارفورد » بهدوء .. بل بكل هدوء : نعم ؟ ؟

فبدا كأن اللص بهت بهذه المقدمة . إذ ساد الصمت برهة . فقال له « هارفورد » فى لهجة واضحة المخارج : ماذا تريد يا صديقى الفاضل ؟ . .

ومن عجب أن اللص لاح عليه التردد وكأنه غرق فى ذكريات عميقه فراح يتفرس فى وجه فريسته فى هذه البقعة المظلمة التى اختارها مسرحاً لهجومه .. على أنه أجاب قائلا :

— نقودك … وساعتك … وكل ما معك ..

فقال المحامى العبقرى : « يبدو لى أنك تسلم مقدماً بأنى أحمل أشياء ذات قيمة ؟ . . »

فانتهره اللص قائلا : اسرع ! واقفل فك ! . . . فقال « هارفورد » متجاهلا الأمر :

— وفضلا عن ذلك . فإن اليسر الذى تجنيه بهذه الطريقة ، لا يجلب لك غير الضرر . .

وأدنى اللص وجهه من وجه المحامى فزاد تجهماً فيا يظهر ، وهم بالكلام ، ولكنه كف عن اتمام جملته . فاستطرد «هارفورد» : تخير لك يا صديقى أن تكف عن هذه المحاولة . ضع مسدسك هذا ...

ذلك وما برح اللص يزيد تفرساً فى وجه المحامى وكان الضوء لا يساعده على تبين ما كان يريد أن يتبينه ... والواقع أن « هارفورد » نفسه كان يريد مزيداً من الضوء ... فإن نظراته الحادة الأخاذة لا تكاد تظهر قوتها فى مثل هذه الظلمة ، وإن كانت حتى الآن قد جعلت اللص يتردد ...

وما لبث « هارفورد » أن أيقن أن قوته الخارقة أخذت تؤتى ثمارها . .

لقد سمع أن النومين المناطيسيين يأمرون « وسائطهم » بأشياء هينة فيفعلونها صاغرين . . وقد قرأ أن الإنسان إذا تفرس فى عينى الأسد محدقاً تراجع « ملك الوحوش » أمامه وذيله منكس بين قدميه . .

وما دام الأسد يفعل هذا ، فمن المحقق أن مثل هذا اللص الحقير التافه سوف يفعله . وهكذا هبط الوحى وتجلت لحظة العمل . فسلط « هارفورد » وابلا من نظراته الجادة على اللص تسليطاً ، وركزها تركيزاً ، واستجمع كل ما يملك من لهجة الأمر والنهى وصرخ فيه قائلا :

— ضع مسدسك وارجع إلى بيتك ! ! وفجأة أضاء اللص مصباحه الكهربائى فإذا ضوؤه يبين مبلغ هذه النظرات الحادة الخارقة التى تشع من عينى « هارفورد » . إذ هتف اللص فى نبرات المأخوذ المرتاع : ويل !

لا بأس . . أنزل يديك !! . وأطفأ اللص مصباحه . واستدار فى مكانه . وولى الأدبار هارباً حتى اختفى فى غمار الظلام . .

وبعد نصف ساعة كان « هارفورد » يجلس فى النادى ممدود الساقين مشبكا ابهاميه فى صدريته وهو ينظر مزهواً مختالا إلى زملائه الأعضاء الذين استمعوا إلى قصته مرات . .

وأخيراً دفع « هارفورد » صدره إلى الأمام وأخرج من جيبه سيجاراً كبيراً أشعله ونفث دخانه راضياً قرير العين ، واختتم حديثه قائلا :

لقد صدق ظنى . . وتم كل شىء كما كنت أتوقعه . . ومتى كانت للانسان شخصية قوية فإنه يستطيع أن يلزم بالطاعة عصابة لصوص بأسرها ، ناهيكم بلص واحد . فالمسألة إذن مسألة قوة إرادة وشخصية !

ولم يكن « هارفورد » المحامى العبقرى الفذ هو وحده الذى كان يتفلسف ليسمع آذاناً لا تريد أن تستمع إليه فى نفس هذا الوقت ، وفى مكان آخر أقل أبهة وفخامة من النادى ، كانت امرأة دميمة الوجه متجهمة السحنة تصب جام غضبها على رأس زوجها الذى لم يفلح منذ وقت وجيز فى مهمة السطو الليلة التى اضطلع بها . إذ راحت تقول له . يالشيطان ! . أتسمى نفسك رجلا وأنت تترك هذا المنحوس يفلت منك . بعد أن وقف أمامك رافع اليدين فى الهواء ؟ فقال « بلنكى لويس » — اللص الفتى — مدافعاً عن نفسه : — لم يكن بإمكانى غير هذا . . فإنى لما سلطت عليه ضوء مصباحى وعرفت من هو ، لم أستطع أن أنسى أنه دافع عنى دفاعه البليغ أمام المحلفين وأنقذنى من الإعدام بتهمة القتل إن لهذا المحامى ما يسمونه « الشخصية » . وكان يعلم مثل غيره أنى قتلت رجل البوليس فعلا . . فليس هو بالمحامى الذى يستغفله الإنسان . . لكنه أخذ يتكلم ويدافع حتى برؤنى . فهل كان يصح بعد هذا أن أسرقه .

عطبرة — سودان سيد محمد قناوى